

أسلوب الإنشائي  
في ضوء  
الدراسات القرآنية والنحوية

تأليف  
الدكتور عبدالعال سالم مكرم  
أستاذ النحو العربي  
بجامعة الكويت



مؤسسة الرسالة





أسلوب البحث  
في الدراسات القرآنية والتجويد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية مهدي وصالحية  
هاتف: ٣١٩٠٢٩ - ٢٤١٦٩٢ - ص.ب. ٧٤٦٠، بيفرقيتا، بيروت - لبنان



أسلوب القرآن  
في ضوء  
الدراسات القرآنية والنحوية

تأليف  
الدكتور  
عبدالعالم سالم عكرم  
الأستاذ بجامعة الكويت

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات البحث

المحتوى	تقديم
٧	أ — إذ الاسمية.
١٠	— لزوم بنائها.
١٠	— لزومها الظرفية.
١٧	— وقوعها مفعولاً به.
١٩	— دراسة تطبيقية لأسلوب إذ في القرآن الكريم.
٢٢	— دلالة إذ على المستقبل (خلاف نحوي).
٢٤	— إذ الظرفية مضافة إلى الجمل.
٢٦	
٢٩	ب — إذ بين الاسمية والحرفية :
٢٩	— إذ التعليلية.
٣٥	— إذ الفجائية.
٣٨	— وقوع إذ الفجائية جواباً لـ «بيننا وبينما»
٤٥	— إذ الزائدة.
٤٧	— نقد رأى أبى عبيدة.
٥٥	— قضية الزيادة في القرآن الكريم.
٦٢	— جر إذ بالإضافة بعد (بعد).
٦٣	— دخول إذ على الشرط وإلغاء أسلوبه.

٦٥	ج - بين إذ الظرفية وإن الشرطية .
٦٦	— رأى البصريين والكوفيين .
٦٩	— رأى الإمام الرضى .
٧٠	— رأى ابن هشام .
٧٠	— رأى ومناقشة .
٧١	— رأى المفتريين .
٧٨	— رأى في هذه القضية .
٨١	د - إذ الحرفية .
٨٢	— رأى سيبويه في الجزم بـ «إذ ما» .
٨٢	— نقد رأيه .
٨٢	— نقد النقد .
٨٧	— الهوامش .
٩٩	— المصادر والمراجع .



تقديم :

تتكرر إذ في كثير من التصوص الأدبية نثراً كانت أو شعراً، ولا تكاد تخلو فقرة في كلام عربي من هذه الأداة.

ومع كثرة الاستعمال نجد أن معانيها تحتاج إلى تحديد، لأنه قد تصعب التفرقة بين هذه المعاني لاختلاطها بعضها ببعض. ومن أجل ذلك كانت هذه الدراسة، لإلقاء الضوء الكاشف على معاني هذه الأداة لتحديد الدلالة، وتوضيح القصد، وبيان الغرض.

ويبدو أن معاني الأدوات الأسلوبية، وصعوبة رسم الخطوط الدقيقة بين معنى ومعنى، وبين أسلوب وأسلوب هي التي حلت رجال اللغة والنحو على بسط الحديث عنها لكشف معانيها، وتحديد دلالتها.

وعلى الرغم من أنه لا يخلو كتاب نحوي أو لغوي من هذه الأدوات منذ أن ألف سيبويه كتابه فإن بعض النحويين أفردوا لهذه الأدوات كتباً مستقلة، نذكر منها :

أ — كتاب : «الأزهية في علم الحروف» لعلي بن محمد النحوي الهروي المتوفى عام ٤١٥ هـ .

- ب - كتاب : «رصف المباني في شرح حروف المعاني» لأحمد بن عبدالقادر المالقي المتوفى عام ٧٠٢هـ .
- ح - كتاب : «الجنس الذاتي» في حروف المعاني» للحسن بن قاسم المرادي المتوفى عام ٧٤٩هـ .
- د - كتاب : «مغنى اللبيب عن كتب الأعراب» لجمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفى عام ٧٦١هـ .

أما المروتي صاحب : «الأزهية» فإنه يذكر في مقدمة كتابه : أنه جمع هذه الأدوات منفصلة عن أبواب النحو في كتاب مستقل من أجل أن تستوعب معانيها، يقول :

«سألتني - أيدك الله - أن أجمع لك أبواباً من النحو قد ذكرناها متفرقة في كتابنا الملقب بالذخائر، ليسهل عليك حفظها وقراءتها، وقد فعلت ذلك على ما التمسست مع زيادات زدتها في هذا الكتاب» (١).

وأما المالقي فإنه يذكر في مقدمة كتابه أنه لما «كانت الحروف أكثر دوراً، ومعاني معظمها أشدَّ غمراً، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائده إليها، اقتضى ماخطر من النظر أن أبحث على معانيها، وأطالع غرض الواضعين فيها، فوجدت منهم من أغفل بعضها وأهل، ومن تسامح في الشرح وتسهل، ومن اختصر منها وأسهب، ومن ركّب البسيط، وبسط المركب، ومن شتت ألفاظها وعدد، وطال الكلام لغير فائدة وردد.

فدعاني الغرض الخاطر، والرفيق العابر أن أؤلف فيها كتاباً يشتمل على شرحها وإيضاح ماخفى من برّحها (٢) ليشتفى صدر الناظر فيه على المأمول، ويفيده - أن شاء الله - إن أخذه بالقبول» (٣).

وأما ابن قاسم المرادي فإنه يذكر في مقدمة كتابه مانصه : «فإنه لما كان مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنيّاً أكثرها على معاني حروفه، صرّفت

المهم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها قد كثر دَوْرُها، وبتعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها» (٤).

وأما ابن هشام فإنه يذكر في مقدمة كتابه : أنه وضع هذا المؤلف مُخكماً متقناً كشف فيه المعضلات، وبين الأغلاط. يقول :

«أستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً، ووضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام وترصيف، وتتبع في مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها، وأغلاطاً وقعت لجماعة من العرب وغيرها فنبهتهم عليها، وأصلحتها.

فدونك كتاباً تُشَدُّ الرِّحال فيما دونه، وتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله» (٥).

وإذا كانت دراسة الأدوات شغلت أذهان النحويين واللغويين لتحديد معالمها ورسم الخطوط الدقيقة لمعانيها، فإنَّ الأداة: «إذ» نالت نصيباً كبيراً من دراسة النحويين، لتعدد دلالتها، واختلاف معانيها، وتنوع أساليبها.

وهدف من هذه الدراسة هو عرض معاني هذه الأداة في ضوء الأساليب العربية، وعلى هدى المعاني النحوية، ليتبين لنا من خلال البحث والدراسة أن نضع أيدينا على أساليبها المتعددة وطريقة استعمال كل أسلوب. وهذا من دون شك يساعدها على أن تقف على أسرار الأساليب التي اشتملت عليها، واستيعاب المعاني التي تعددت في مجالها، وبذلك نضع النقاط على الحروف في قضية تحتاج إلى بحث جاد، لأنها على حد تعبير المرادى: عزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يُعانيها.

## إذ الاسمية

تقع إذ في بعض الأساليب العربية اسماً، وفي هذه الحالة، تحمل معنى الظرفية وتقع حرفاً لتحمل معاني أخرى ستتضح لنا عند التعرض لدراستها، ونتناول أولاً إذ الاسمية، فإذا فرغنا منها نتناول بالبحث والدراسة إذ بين الحرفية والاسمية ثم إذ الحرفية.

### أولاً : إذ الاسمية :

يذكر النحويون أن إذ الاسمية هي إذ الظرفية، ويحتجون لاسميتها: أنها تقبل التنوين مثل: يومئذ، وحينئذ، وقبولها التنوين دليل الاسمية. ومما يؤكد اسميتها أنها تقع خبراً حينما تقول: إخلاصك إذ بدأ العمل، ف «إذ» في هذا المثال ظرف يعرب خبراً للمبتدأ: «إخلاصك».

و يضيف النحويون دليلاً ثالثاً على اسميتها، وهو الإضافة إليها كقوله تعالى: «بعد إذ هديتنا» (٦)، وذلك لأن إذ مضافة إلى الجملة الفعلية وهي: «هديتنا» والإضافة من خصائص الأسماء.

يقول السيوطي مستدلاً على اسمية إذ مانصه: «والدليل على اسميتها قبولها: التنوين، والاختبار بها، نحو: مجيئك إذ جاء زيد، والإضافة إليها بلا تأويل نحو: «بعد إذ هديتنا» (٧).

و ينص صاحب الجنى الدانى على اسميتها بدليل رابع يضيفه إلى الأدلة السابقة وهو: «إبدالها من الاسم نحو: رأيتك أمس إذ جئت» (٨)، ف «إذ» في هذا بدل من «أمس»، والبدل يتبع المبدل منه.

### لزوم بنائها :

وإذ التي تحمل معنى الاسمية أو الظرفية مبنية على السكون، ودليل بنائها ما يأتي :

أ— وضعها على حرفين .

ب - افتقارها إلى الجمل التي بعدها .

ج - افتقارها إلى التنوين المسمى : تنوين العوض الذي يقوم مقام الجملة مثل : (٩) يومئذ، حينئذ .

و يضيف ابن يعيش على هذه الأدلة أدلة أخرى ساقها ليقرر في ضوئها بناء إذ ، وهي في الحقيقة أدلة منطقية تقوم على التعليل، ومنهج التحليل. يقول ابن يعيش :

«فأما إذ فإنها تقع على الأزمنة الماضية كلها، مبهمة لا اختصاص لها ببعضها دون بعض، فاحتاجت لذلك إلى ما يوضحها. و يكشف عن معناها، وإيضاحها يكون بجملة بعدها، فصارت بمنزلة بعض الاسم، وضارعت «الذي» والأسماء الناقصة المحتاجة إلى الضلالت، لأن الأسماء موضوعة للدلالة على التسميات، والتمييز بين بعضها وبعض، فإذا وجد منها ما يتوقف معناه على ما بعده حل مع ما بعده من تمامه محل الاسم الواحد، وصار هو بنفسه بمنزلة بعض الاسم، وبعض الاسم مبنى، لأن بعض الاسم لا يوضع للدلالة على المعنى» (١٠).

و بهذا التحليل القوي أكد ابن يعيش بناء إذ.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن حول بناء إذ هو: لماذا كسرت الذال عند تنوين العوض القائم مقام الجملة؟

وذلك إذا قلنا : حينئذ، و يومئذ، لابتدأ من كسر الذال، فما السر في كسر هذه الذال؟

جمهور النحويين يجيبون عن هذا التساؤل فيقولون : «وإنما كسرت الذال لالتقاء الساكنين» (١١).

ولتفسير رأي جمهور النحويين نقول : الساكنان هما : سكون ذال «إذ»، وسكون التنوين، فتخلص من التقاء الساكنين بكسر الذال .

ومع هذا التفسير الواضح لكسر ذال إذ عند الجمهور، فإن الأنخض له رأى آخر، فما رأيه؟ ذلك هو ما سنعرضه في النقطة التالية : -

## رأى الأخصف :

لم يرتض الأخصف هذا التعليل السابق لجمهور النحويين، لأنه يرى أن كسرة إذ ليست للتخلص من التقاء الساكنين، وإنما هي كسرة إعراب. ودليله في هذا الرأي أن: «إذ إنما بنيت لإضافتها إلى الجملة، فلما حذف الجملة عاد إليها الإعراب فجرت بالإضافة» (١٢).

ومعنى ذلك: أن إذ بنيت لافتقارها إلى جملة تضاف إليها وهذا هو علة بناء إذ عند الأخصف وغيره، فإذا ما حذف المضاف إليه، وهو الجملة وعوض عنها التنوين، رجع الإعراب إلى إذ، فهي مجرورة في المثالين: يومئذٍ وحينئذٍ بإضافة يوم إليها، والمضاف إليه معرب مجرور ذلك هو قحوى رأيه، وملخص مذهبه. وهذا الرأي أو المذهب يحتاج إلى نقاش، وذلك ما سنتناوله في النقطة التالية :

## مناقشة رأى الأخصف :

يبدو في رأى الأخصف لأول وهلة، وجاهة التعليل، وقوة الدليل، ولكن يحذ من وجاهة التعليل، ويضعف من قوة التعليل هو أن سبب بناء إذ في رأيه هو الإضافة إلى الجملة، والإضافة إلى الجملة ليست هي السبب الفعال في بناء إذ، فهناك أسباب أخرى للبناء سبق الحديث عنها كوضعها على حرفين، ولكونها ضارعت الأسماء الناقصة مثل الذى كما تحدث ابن يعيش فيما سبق.

وقد قرنا سابقاً أن من أسباب بناء إذ هو الافتقار إلى الجملة أى الحاجة إليها ليكمل معناها، وتتضح دلالتها كحاجة الموصول إلى الصلة وفرق بين الإضافة والافتقار لأن كثيراً من الظروف معربة حالة الإضافة فلو كانت الإضافة هي السبب لبنيت هذه الظروف، فلو قلنا مثلاً:

سافرت يوم الخميس، ف «يوم» ظرف معرب منصوب بالفتحة، وليس مبنياً بسبب الإضافة.

لهذا فإن المرادى كان على حق في رده على الأخص بقوله :

«إن سبب بنائها ليس هو الإضافة إلى الجملة، وإنما هو افتقارها إلى الجملة، والافتقار عند حذف الجملة أبلغ، فالبناء حينئذ أولى» (١٣) ورد المرادى يحتاج إلى إيضاح بالنسبة للقارىء غير المتخصص حتى يعم الانتفاع بهذا البحث في أسلوب نحن في أشد الحاجة إلى معرفته، وكشف معانيه وذلك لتكراره في فن الكتابة، وفق القول معاً، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

يدور رأى المرادى في البناء حول الافتقار، وإذ لأنها من الظروف المبهمة تحتاج إلى إيضاح يوضح هذا الإبهام، ويحد من غموضه. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى جملة تليها، لتكشف عن إبهامها، وكان سبب الافتقار إلى الجملة التي بعدها هو سبب البناء، فعند حذف الجملة، والتعويض عنها بتكوين العوض، رجع إليها الغموض مرة أخرى، وإن كان في هذه الحالة أقل لقيام التنوين مقام الجملة، ولهذا فإنها في حالة افتقارها إلى الجملة بُنيت، وزاد الافتقار أكثر عند حذف الجملة، فكان البناء أولى، لأن الافتقار إلى الجملة عند عدم وجودها أبلغ من الافتقار إلى الجملة حالة وجودها.

ورد المرادى في الواقع على الأخص رد فلسفى منطقي.

وإذا كان الأخص لا يدعن لهذا الرد مع أنه سلك مسلك الفلسفة والمنطق في رأيه حيث قرر أن من أسباب البناء الإضافة إلى الجملة فإذا ما زالت الإضافة زال البناء، وكان رد المرادى من جنس ما ذهب إليه الأخص حيث التزم مثله مسلك الفلسفة والمنطق... فإن هناك أدلة أخرى تقوم على السماع والرواية بعيدة عن منطق الفلسفة والتعليل.

من هذا الأدلة : قول أبي ذؤيب الهذلي :

نهيتك عن طلابك أم عمرو بعاقبة وأنت إذ صحيح (١٤)  
وموطن الاستشهاد بهذا البيت هو كسر ذال : إذ مع التنوين،

ولاموجب للكسر غير التقاء الساكنين، فليس لـ «إذ» مضاف تضاف إليه، وتجرب بسببه بالكسر كما كانت شبيهة ذلك محققة في يومئذ، وحينئذ، لوجود المضاف فيهما وهو يوم، وحين.

ومن هذه الأدلة أيضاً في الرد على الأخفش ونقده هذا التحليل الرائع الذي ذكره ابن جنى في معرض رده على الأخفش، وتعليقه على كسر «إذ» في البيت السابق، وهو تحليل يحمل في طياته قوة الدليل، ووضوح الحجّة، وسلامة البرهان يقول ابن جنى:

«ومن وجوه التنوين أن يلحق عوضاً من الإضافة نحو: يومئذ، وليلتذ، وساعتئذ، وحينئذ، وكذلك قول الشاعر:

### \* وَأَنْتِ إِذٍ صَاحِبِيحٌ \*

ألا ترى أن «إذ» ليس قبلها شيء، فأما قول أبي الحسن — [يعنى الأخفش] — : إنه جَرَّ «إذ» لأنه أراد قبلها: «حين» ثم حذفها، وبقي الجر فساقط، ألا ترى أن الجماعة قد أجمعت على أن: إذ، وكم، ومن من الأسماء المبنية على الوقف.

وقد قال أبو الحسن نفسه — من بعض التعاليق عنه في حاشية الكتاب: بقَد كَمْ، وإذ من التمكن أن الاعراب لم يدخلها قط، فهذا تصريح منه ببناء إذ، وهو اللائق به، والأشبه باعتقاده، وذلك القول الذي حكيناه عنه شيء قاله في كتابه الموسوم بمعاني القرآن، وإنما هو شبيه بالسّهومنه» (١٥).

ولم يكتف ابن جنى بهذا التحليل الرائع في استدلاله على بناء «إذ» بل ذهب يلتمس الدليل تلوا الدليل، ليقوى رأيه، ويدافع عن فكره حتى يبلغ ما يريد. يقول ابن جنى: «و يؤيد ما ذكرته من بناء إذ أنها إذا أضيفت مبنية نحو قوله: «إذ الأغلاك في أغناقهم» (١٦)، «وإذ ترفع إبراهيم القواعد من



البيت (١٧) فـ «إذُ» في هذا ونحوه مضافة إلى الجمل، وموضعها نصب، وهي كما ترى مبنية.

فإذا كانت في حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة أن تقع على الأفراد فهي إذا لم تضاف في اللفظ أصلاً أُجدرُ باستحقاق البناء. ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائي: «من عذاب يؤمّنذ»، (١٨) فبنى على الفتح لما أضافه إلى غير متمكن».

ويختتم ابن جنى أدلته بدليل يردّ به سؤال معترض على بناء إذُ لتوهم قام في نفسه، وفهم خاطيء استبد بعقله، فيقول:

«فإن قيل: بنيت إذُ من حيث كانت غاية منقطعاً منها ما أضيفت إليه أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة، فهلا أعربت لما أضيفت إلى المفرد من نحو قولهم: فعلت إذُ ذلك؟ قلت: هذه مغالطة، فإن «ذاك» ليس مجروراً بإضافة إذُ إليه، وإنما «ذاك» مبتدأ حذف خبره تخفيفاً، والتقدير: إذُ ذلك كذلك، فالجملة هي التي في موضع جر» (١٩).

من هذه النصوص التي سجلها ابن جنى يتأكد بناء إذُ، وهي كما قلت، نصوص تحمل في طياتها قوة الدليل، فـ «إذُ» كُسرَت ذالها في بيت الشاعر لالتقاء الساكنين، لأنها ليس قبلها شيء يوجب جرّها.

وبناء إذُ أمر اعترفت به الجماعة ويعنى بها، جماعة النحويين أو بعبارة أخرى جمهورهم، لأنها مثل مَنْ، وكم من حيث البناء على الوقف، ولا يستطيع أحد أن يقول: إن كم معربة حينما يدخل عليها جرّ مثل قولهم: بكم درهم اشترت لأنها باقية على سكونها وكذلك القول في مَنْ إذا دخل عليها جار.

على أن سهم النقد كان نافذاً حينما وجهه إلى الأخص حيث رماه بالسّهو والغفلة، لأنه علق في حاشية الكتاب معترفاً ببناء إذُ، فكيف إذا يدعى بعد ذلك أنها معربة مجرورة بالكسرة على تقدير ظرف مضاف محذوف قبلها في بيت أبي ذؤيب؟

ولم ينس ابن جنى أن يبين منطقياً أن إذ حين إضافتها إلى الجملة تكون مبنية فمن باب أولى إذا يقوى البناء حينما تنقطع هذه الجملة عنها.

و يؤيد ابن جنى رأيه بقراءة الكسائي التي أشرنا إليها في نصه السابق حيث بنى «يوم» من قوله تعالى: «من عذاب يَوْمئِذٍ» على الفتح، لأنه مضاف إلى إذ وهي غير متمكنة، وغير تمكنها يوجب لها البناء الذي اكتسبه الظرف (يوم) المضاف إلى (إذ) لقوة إذ في البناء.

على أننا نستطيع أن نضيف إلى الأدلة السابقة في بناء إذ غير شاهد أبي ذؤيب، وغير الأدلة التي سجلها ابن جنى في رده على الأخفش نستطيع أن نضيف دليلاً آخر وهو «أن بعض العرب يفتح الذال تخفيفاً فيقول: حينئذاً (٢٠).

ومعنى ذلك: أنها لو كانت معربة بالإضافة كما يدعى الأخفش، لما فتحت ذالها، لأنها في موقع المضاف إليه، والمضاف إليه مجرور دائماً.

ولانسى قبل أن نترك الحديث في بناء إذ أن نذكر أن بعض العرب يبنون الظرف المضاف إلى إذ، لأنه اكتسب البناء منها.

وفي ضوء هذا يقرر ابن السراج في الأصول مانصه: «وأسماء الزمان إذا أضيفت إلى مبنى جاز أن تعربها، وجاز أن تبنيها، وذلك نحو: يومئذ بالرفع، و يومئذ بالفتح» (٢١)

ومعنى ذلك جواز إعراب «يوم» على حساب العامل كأن تقول: هذا يومئذ، بالرفع على الخبرية، وجواز الفتح على البناء كأن تقول: هذا يومئذ بالبناء على الفتح للإضافة إلى مبنى.

ويقوى رأى ابن السراج قراءه «يوم» بالجر على الاعراب، والفتح على البناء في قوله تعالى «لو يفتدى من عذاب يَوْمئِذٍ ببنيه» (٢٢).

قال الفخر الرازي: «قرىء (يومئذ) بالجر والفتح على البناء لسبب الإضافة إلى غير متمكن» (٢٣).

وينسب أبوحيان الأندلسي في كتابه «البحر المحيط» قراءة الجرّ إلى الجمهور، وقراءة الفتح إلى أبي حيوة (٢٤). ونسبت إلى الكسائي أيضاً في بعض المراجع. (٢٥) ويلاحظ هنا أن الظروف الزمانية المضافة إلى «إذ» مسموعة في: «يوم» و «حين» وذلك بسبب اشتراكهما مع «إذ» في الإضافة إلى الجمل.

غير أن البيهقي في الخزانة ينقل إلينا خبراً مؤداه أنه قد: «وجد بخط صاحب القاموس تركيب هذه الظروف مع إذ، قال: لا يضاف إلى إذ من الظروف في كلام العرب غير سبعة ألفاظ، وهي: يومئذ، وحينئذ، وساعتئذ، وليلتئذ، وغداًئذ، وعشيئذ، وعاقبتئذ. قيل: ومقتضاه أنه لا يقال: وقتئذ، ولا شهرئذ، ولا سنتئذ.

وقد روى: أوانئذ في شعر الداخل بن حرام الهذلي قال:

ذَلُّنْتُ لَهَا أَوَانِئُذٍ بِسَهْمٍ وَحَلِيْفٍ لَمْ تَخَوُّنَهُ الشُّرُجُ (٢٦)  
و يفسر البيهقي معنى البيت فيقول:

«والدليف: سير فيه إبطاء. وحليف: حديد. وتخوته: تنقصه، والشروج: الشقوق والصدوع» (٢٧).

وبعد، فنكتفي بهذا القدر من الحديث في بناء إذ لنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن ظرفيتها.

**ظرفية إذ ولزومها:**

هل تخرج إذ الاسمية عن الظرفية فتصرف بمعنى أنها تعرب مبتدأ أو فاعلاً، أو مفعولاً؟

ينص السيوطي في اللمع على أن إذ الظرفية لا «تصرف بأن تكون فاعلة أو مبتدأ» (٢٨).

على أن الزمخشري في الكشاف عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: «لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم» (٢٩)، ذكر أنه قرىء: «لمنّ

منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم» (٣٠)، وبين الزمخشري أنه في ضوء هذه القراءة يجوز أن تكون إذ «في محلّ الرفع كـ «إذا» في قولك: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً، بمعنى: لئن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه» (٣١).

والناظر في نص الزمخشري يرى أنه في هذه القراءة تقع إذ خبراً، ووقوعها خبراً يجعلها متصرفّة، وهو في هذا الرأي قاس إذ على إذا، لأن إذا في رأيه تقع خبراً في قولهم: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً».

والواقع ان الزمخشري خاتمه التبعين أو بعبارة أخرى جانبه التوفيق في هذا التقدير، لأن أصل القول السائد هو: أخطب ما يكون الأمير قائماً. فـ «قائماً» في هذا القول نصب على الحال، وتقدير القول هو كما قال الزمخشري: «أخطب ما يكون الأمير إذ كان أو إذا كان قائماً، فـ «إذ» عند إرادة المضي، وإذا عند إرادة الاستقبال، «وقائماً» في القول السائد عند النحويين حال سدت مسد الخبر الذي حذف وجوباً في هذا الموضع، لأن المبتدأ اسم تفضيل مضاف إلى المصدر المؤول، وفي هذه الحالة تقوم الحال مقام الخبر الذي يحذف وجوباً في هذه الحالة، وتقدير الخبر المحذوف: إذ كان أو إذا كان، وعامل الحال هو ضمير كان التامة، والحال هنا لا تصلح أن تكون خبراً للمبتدأ الذي هو اسم تفضيل، فـ «قائماً» على هذا التقدير قامت مقام «إذ كان» لأن في الحال معنى الظرفية كما يقول الضبان، لأن «معنى لقيت زيدا راكباً: لقيته في وقت الركوب، و«إذ كان» سد مسد المتعلق الذي هو الخبر في الحقيقة كسداد بقية الظروف مسد متعلقاتها العامة» (٣٢).

ولا أدري لماذا يقيس الزمخشري إذ على إذا، فالموضع في المثال المذكور صالح لإذ، وإذا معاً، فـ «إذ» كما قلنا: عند إرادة المضي، و«إذا» عند إرادة الاستقبال، فالمثال صالح للمعنيين.

على أن المثال الذي ذكره الزمخشري لا يتكلم به، لأن الخبر محذوف وجوباً أي أنه لا يقال في العربية: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً، وإنما القول المنسوب إلى العرب: أخطب ما يكون الأمير قائماً.

ولله درّ ابن هشام فقد راعه هذا الخطأ التقديرى، كما راعه أن ينسب إلى العرب قولاً لم يقولوه.

قال ابن هشام معقّباً على رأى الزمخشري في تقديره لهذه القراءة مانصه: «ولانعلم بذلك قائلأ. ثم تنظيره بالمثال غير مناسب، لأن الكلام في إذ لآ في «إذا»، وكان حقه أن يقول: إذ كان، لأنهم يقدرون في هذا المثال ونحوه «إذ» تارة، و«إذا» أخرى بحسب المعنى المراد، ثم ظاهره أن المثال يتكلم به هكذا، والمشهور أن حذف الخبر في ذلك واجب، وكذلك المشهور أن إذا المقدرة في المثال في موضع نصب، ولكن جورّ عبدالقاهر كونها في موضع رفع تمسكاً بقول بعضهم:

أخطب ما يكون الأمير يوم الجمعة بالرفع، ففاس الزمخشري «إذ» على إذا، والمبتدأ على الخبر» (٣٣).

وإذا كانت إذ لا تقع مبتدأ أو فاعلاً وإنما هي محصورة في الظرفية عند جمهور النحويين، فهل تقع مفعولاً به؟ وذلك ما سنجيب عنه في النقطة التالية:

### هل تقع إذ الاسمية مفعولاً به؟

الناظر لكتاب سيبويه يرى أن «إذ» الاسمية لا تخرج عن الظرفية في رأيه. يقول: «وإذ وهى لما مضى من الدهر» (٣٤)، ومعنى ذلك أن إذ الاسمية عند سيبويه لا تخرج عن الظرفية، ولكونها ظرفاً فإنها لا تعمل شيئاً فيما بعدها كما تعمل إن الشرطية، ولهذا، فإن دخولها على الاسم أولى بها من دخولها على الفعل. قال سيبويه: «فتركت الأسماء بعدها على حالها كأنه لم يذكر قبلها شيء.. إذ كانت لا تغير ما دخلت عليه» (٣٥).

و يتبع نهج سيبويه في ظرفية إذ الجمهور قالوا: «لا تكون إلا ظرفاً نحو: «فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٣٦)، ومضافاً إليها الظرف كقوله تعالى: «بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا»، (٣٧)، «يَوْمَئِذٍ تَحَدَّثُ أَخْبَارُهَا» (٣٨)، «وَأَنْتُمْ حِينْتُمْ تَنْظُرُونَ» (٣٩).

وفي رأسي أنّ حضر إذ في الظرفية فقط حجر على الاتساع في المعاني  
وتضييق على التنوع في الأساليب .

فهناك أساليب في العربية وضوح إذ فيها مفعولاً به أقوى من تقدير  
الظرفية فيها .

إن إذ اسم، وما الذي يمنع من الاتساع فيخرج عن دائرة الظرفية إلى  
دائرة المفعولية؟ وأيها أولى: اللجوء إلى التقدير في الإعراب، أو الإعراب بدون  
تقدير؟

أعتقد أن التحويين وضعوا في أصولهم التحوية: أن مالا يحتاج إلى تقدير  
أولى مما يحتاج إلى تقدير.

فمن مجيء إذ مفعولاً به قوله تعالى: «واذكروا إذ كنتم قليلاً» (٤٠)،  
وقوله تعالى: «واذكروا إذ أنتم قليل» (٤١).

ومع وضوح المفعولية في هاتين الآيتين نجد جمهور التحويين يقدرون  
فيقولون: «المفعول محذوف، وإذ ظرف، عامله ذلك المحذوف، والتقدير:  
«واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم» (٤٢).

وتطالعنا آيات كثيرة في أوائل القصص تشتمل على إذ بدون أن يسبقها  
عامل فيها، وأيسر إعراب لـ «إذ» هذه أن تكون مفعولاً لفعل محذوف تقديره:  
«اذكر»، واختيار هذا الفعل بخاصة، لأن بعض الآيات القرآنية الأخرى التي  
اشتملت على إذ ذكر هذا الفعل قبلها كالأيتين السابقتين، والقرآن الكريم يفسر  
بعضه بعضاً.

ومن الآيات التي تعرب فيها إذ مفعولاً للفعل «اذكر» محذوفاً.

أ — «واذ قال ربك للملائكة» (٤٣).

ب — «واذ قلنا للملائكة»، (٤٤).

ج — «واذ فرقنا بكم البحر» (٤٥).

وعلى الرغم من وضوح مفعولية إذ في هذه الآيات فإن الجمهور يقدرون

أن إذ في هذه الآيات ظرف لـ: «اذكر» محذوفاً، وليست مفعولاً به لهذا الفعل المحذوف.

وقد ردّ عليهم ابن هشام رداً فيه قوة الحق، وسلامة الدليل، ووضوح الحججة. قال: «هذا وهمٌ فاحش لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت مع أن الأمر للاستقبال وذلك الوقت قد مضى قبل تعلق الخطاب بالمكلفين متاً، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه» (٤٦).

على أن أبا البقاء أيوب بن موسى الحسيني اللغوي وضع الأمر في نصابه حينما بين أن إذ في هذه الآيات التي أضمرت أفعالها مفعول به على سبيل التجوّر. قال: «كل ماورد في القرآن: «واذ» «فاذكر» فيه مضمّر، أي اذكر لهم، واذكر في نفسك كيفما يقتضيه صدر الكلام، و«إذ» منصوب به وعليه اتفاق أهل التفسير مع أن القول واقع فيه.

ولم يجعلوه ظرفاً له بل مفعولاً به على سبيل التجوّر مع أنه لازم الظرفية فعَدَلوا عن الحقيقة إلى المجاز، لعدم إمكان مظرؤية المضاف إليه» (٤٧).

وكما تقع إذ مفعولاً به قد تقع بدلاً من المفعول به، والمثال على ذلك قوله تعالى: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت» (٤٨)، فـ «إذ» بدل احتمال من مريم على حدّ البدل في: «تَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» (٤٩) وقوله تعالى: «اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء» (٥٠).

قال ابن هشام معلقاً على الآية الأخيرة: «يحتمل كون إذ ظرفاً للنعمة وكونه بدلاً منها» (٥١).

## هل تقع إذ حالاً؟

قال السيوطي في «معترك الأقران»: «وذكر بعضهم أنها تأتي للحال نحو: «ولا تعملون من عملٍ إلّا كُنّا عليكم شهوداً إذ تُفِيضُونَ فِيهِ» (٥٢).

## دراسة تطبيقية لأسلوب إذ في القرآن الكريم :

يواجهنا المفسرون في كتبهم المشهورة بتقديرات مختلفة لإعراب : «إذ» التي تعددت في القرآن الكريم، ومن خلال هذا التعدد اختلفت الأساليب وكشرت التقديرات. وعلى سبيل المثال نذكر طائفة من أساليب إذ في القرآن الكريم مع توجيهات المفسرين لها:

أ - من ذلك قوله تعالى :

«إذ قالت امرأة عمران رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بطني مُحَرَّرًا». (٥٣)

قال الطبرسي في تفسيره: «في موضع» «إذ قالت» أقوال :

أحدها: أنه نصب بـ «اذكر» عند الأخفش والمبرد.

والثاني: أنه متعلق بـ «سميع عليم» [في الآية التي قبلها]، فيعمل فيه معنى الصفتين، تقديره: والله مدرك لقولها ونيتها إذ قالت. عن علي بن عيسى.

والثالث: أنه متعلق بـ «اصطفى» [في الآية ٣٣]، عن الزجاج.

الرابع: أن «إذ» زائدة فلا موضع لها من الإعراب عن أبي عبيدة. وهذا خطأ عند البصريين» (٥٤).

ب - ومن ذلك قوله تعالى :

«وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك» (٥٥) قال الطبرسي: إذ

هذه معطوفة على إذ في قوله: «إذ قالت امرأة عمران» أو يكون معناه: اذكر إذ قالت الملائكة (٥٦).

ج - ومن ذلك قوله تعالى :

«وما كنتم لديهم إذ يُلْقُونَ أَقلامَهُمْ» (٥٧).

قال أبو علي: إذ في قوله: «إذ يُلْقُونَ» متعلق بـ «كنتم»، كأنه قال: «وما كنتم لديهم إذ قالت الملائكة»، وهذا إما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانية بدلاً من



الأولى، فإن لم تقدره هذا التقدير لم يجز، وإنما يجوز البديل في هذا إذا كان وقت اختصاصهم وقت قول الملائكة ليكون البديل المبدل منه في المعنى» (٥٨).

د — ومن ذلك قوله تعالى :

«إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی» (٥٩).

قال الطبرسي: العامل في إذ قوله: «ومكروا، ومكروا لله، والله خبير الماكرين» (٦٠) «إذ قال».

ويحتمل أن يكون تقديره: ذاك إذ قال الله، وتمثيله: ذاك واقع إذ قال الله، ثم حذف: «واقع» وهو العامل في إذ، وأقيمت إذ مقامه» (٦١).

هـ — ومن ذلك قوله تعالى :

«وإذ غدوت من أهلك» (٦٢).

قال الطبرسي: «العامل في إذ محذوف، وتقديره: واذكر إذ غدوت. وقيل: هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله: «قد كان لكم آية في فتنة التقتا»، [الآية ١٣ آل عمران] أي في نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة إذ غدا النبي صلى الله عليه وسلم. عن أبي مسلم.

وقيل: العامل فيه قوله: «محيط»، وتقديره — والله أعلم بأحوالكم وأحوالهم إذ غدوت من أهلك» (٦٣).

و — ومن ذلك قوله تعالى :

«إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد» (٦٤).

قال الطبرسي: قوله: إذ تصعدون» العامل في إذ قوله: «ولقد عفا عنكم» (٦٥)

وقبل أن ننهي هذه الدراسة التطبيقية لـ «إذ» في القرآن الكريم نود أن نشير إلى أن الزركشي في «البرهان» بين لنا أنه: «حيث وقعت إذ بعد: «واذكر» فالمراد بها الأمر بالنظر إلى ما اشتمل عليه ذلك الزمان لغرابة ما وقع فيه، فهو جدير بأن ينظر فيه.

وقد أشار الى هذا الزمخشري في قوله تعالى: «وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ» (٦٦)، وقوله: «وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ» (٦٧).

كذلك نضيف إلى هذه الإشارة إشارة أخرى، وهي أن إذ وقعت بدلاً في بعض الأساليب حيث وقعت بدلاً من المفعول به في قوله تعالى: «إِذِ اتَّخَذَتْ» (٦٨) حيث أعربت إذ بدل اشتمال من مريم في قوله تعالى: «وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ»، وبعض آيات أخرى سبق ذكرها. ومع ذلك فإن إعراب إذ بدلاً من «اليوم» في قوله تعالى: «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» (٦٩) يترتب عليه إشكال يحتاج إلى حل.

وقد وفق ابن جنى إلى هذا الحل حينما قال: «راجعت أبا عليّ مراراً في قوله: «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» مستشكلاً إبدال إذ من اليوم، فأخر ما تحصل منه: أن الدنيا والآخرة متصلتان، وأنها في حكم الله سواء فكان اليوم ماضٍ» (٧٠).

#### إذ الظرفية هل تدلّ على المستقبل؟

لم يصرح سيبويه في كتابه بوقوع إذ دالة على المستقبل، وكل ما ذكره في شأنها: أنها لما مضى من الدهر. (٧١).

ومعنى ذلك أنّ إذ لا تستعمل عند سيبويه إلا ظرفاً لما مضى من الدهر. ويقرّر سيبويه حكماً أسلوبياً لكل الأزمنة الماضية في ضوء دراسته لـ «إذ» التي تدلّ على الزمن الماضي، فكل زمن في نظره أضيف إلى الجملة الاسمية صحّ بناؤه، واستقام تركيبه إذا كان بمعنى إذ، ومالم يكن بمعنى إذ، فإن إضافته إلى الجملة الاسمية خروج عن منطق الصواب، وبعد عن سلامة التركيب.

يقول سيبويه: «وسألت عن قوله في الأزمنة: كان ذلك زمن زيد أمير، فقال: لما كانت في معنى: إذ على ما قد عمل بعضه في بعض، ولا يغيرونه، فشبها هذا بذلك، ولا يجوز هذا في الأزمنة حتى تكون بمنزلة إذ. فإن قلت: يكون هذا يوم

زيداً أميراً كان خطأ، حدثنا بذلك يونس عن العرب، لأنك لا تقول: يكون هذا إذا زيداً أميراً» (٧٢) ويضع. سيبويه الحدود الفاصلة بين إذ التي تدلّ على الماضي، وإذا التي تدلّ على المستقبل: أن الزمن إذا أضيف إلى الفعل أو الاسم كان في معنى إذ، لأنه وقع. أما إذا لم يقع، فإن الزمن لا يضاف إلى الأسماء، وإنما يضاف إلى الجمل الفعلية.

وبهذا التفسير الواضح حدّد سيبويه وظيفة إذ، كما حدّد وظيفة إذا حينما قال :

«جملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضياً أضيف إلى الفعل، وإلى الابتداء والخبر، لأنه في معنى إذ، فأضيف إلى ما يضاف إليه إذ. وإذا كان لما لم يقع لم يضاف إلا إلى الأفعال، لأنه في معنى إذا، وإذا هذه لا تضاف إلا إلى الأفعال» (٧٣).

واضح إذن من هذين النصين أن إذ عند سيبويه لا تقع دالة على الاستقبال. وتابع سيبويه في هذا الرأي جمهور النحويين.

ومع تحليل سيبويه لمنع إذ من الاستقبال، وهو تحليل له قوته ومنطقيته فإنّ بعض المتأخرين من النحويين لم يوافقوا سيبويه على رأيه، قائلين: إن إذ تقع دالة على الاستقبال في بعض الأساليب.

قال ابن قاسم المرادي في كتابه: «الجنى الدانى» مشيراً إلى مذهب المتأخرين في دلالة إذ على معنى الاستقبال، وأنها في هذه الحالة بمنزلة إذا، قال: «إذ يكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى إذا، ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم ابن مالك، واستدلوا بقول الله تعالى: «فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم» (٧٤)، وبآيات أخرى (٧٥) كقوله تعالى: «يومئذ تحدث أخبارها» (٧٦).

ومن المؤيدين لوقوع إذ بمعنى الاستقبال ابن هشام، فقد احتج للمثبتين لـ «إذ» معنى الاستقبال بقوله تعالى: «فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم» قائلًا: «فإن «يعلمون» مستقبل لفظاً ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه، وقد أعمل في إذ، فيلزم أن يكون بمنزلة إذا» (٧٧).

ولم ينس ابن هشام أن يوضح رأى المانعين بقوله :

«والجمهور لا يشبتون هذا القسم، ويجعلون الآية [السابقة] من باب «ونفخ في الصور» (٧٨)، أعنى من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع» (٧٩).

والرأى الذي أميل إليه هو جواز وقوعها موقع إذا الدالة على المستقبل، لان الأدوات يقع بعضها موقع بعض لاعتبارات بلاغية تدرك من الموقف، وتتضح من السياق، ويشير إليها الأسلوب، يدلك على ذلك «أن الأمور المستقبلية لما كانت في إخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبّر عنها بلفظ الماضي» (٨٠).

### إذ الظرفية مضافة إلى الجمل :

سبق أن بينا أن إذ الظرفية تضاف إلى الجملتين، الاسمية والفعلية، غير أن سيبويه يجعل الجمل المبدوءة بأسماء بعدها أولى من الجمل المبدوءة بأفعال. قال سيبويه : «فتركت الأسماء بعدها على حالها، كأنه لم يذكر قبلها شيء فلم يجاوزوا ذا بيها، إذ كانت لا تغير مادخلت عليه، فيجعلوا الاسم أولى بها من الفعل» (٨١).

وإضافة إذ إلى الجملة إضافة لازمة، لأنها لا توجد في أساليب الكلام إلا مضافة.

وإضافتها إلى الجملة الاسمية كقوله تعالى: «وإذ أنتم قليل» (٨٢).

وإضافتها إلى الجملة الفعلية على النحو التالي :

أ — جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى :

مثل قوله تعالى : «وإذ قال ربك للملائكة»، (٨٣)، «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات» (٨٤).

ب — جملة فعلية فعلها ماضٍ معنًى لالفظاً:

مثل قوله تعالى : «وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» (٨٥)

هذا وقد اجتمعت الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية في مثالها المذكورين في قوله تعالى : «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ» (٨٦).

قال ابن هشام محلاً إِذ في هذه الجملة:

«الأولى ظرف لـ «نصره» والثانية بدل منها، والثالثة، قيل : بدل ثان وقيل: ظرف لـ «ثاني اثنين»، وفيهـما، وفي إبدال الثانية نظر، لأن الزمن الثاني والثالث غير الأول، فكيف يُبدل لان منه؟

ثم لا يعرف أن البدل يتكرر إلا في بدل الإضراب، وهو ضعيف لا يحمل عليه التنزيل .

ومعنى ثاني اثنين: واحد من اثنين، فكيف يعمل في الظرف، وليس فيه معنى فعل؟

وقد يجاب بأن تقارب الأزمنة ينزلها منزلة المتحددة، أشار إلى ذلك أبو الفتح في (المحتسب)، والظرف يتعلق بوهـم الفعل، وأيسر روائحه» (٨٧).

وفي مجال إضافة إِذ إلى الجملة، وأن هذه الإضافة لازمة أزال ابن هشام شبهة ورود إِذ في بعض الأساليب بدون إضافة إلى الجملة في الظاهر. قال ابن هشام: وقد يحذف أحد شطري الجملة فيظن من لاجئرة له أنها أضيفت إلى الفرد كقوله:

هل تَرْجِعُنَّ لِيَالٍ قَدْ مَضَيْنَ لَنَا وَالْعَيْشُ مُثْقَلٌ إِذْ ذَاكَ أَفْنَاْنَا (٨٨)  
والتقدير: إِذْ ذَاكَ كَذَلِكَ.

وقال الأخطل:

كسانت منسازل آلاف عهدتهم إِذْ نَحْنُ إِذْ ذَاكَ دُونَ النَّاسِ إِخْوَانَا (٨٩).

«نحن» و «ذاك» مبتدآن حذف خبرهما، والتقدير: عهدتهم إخواناً إذ نحن متآلفون، إذ ذاك كائن.

ولا تكون إذ الثانية خبراً عن نحن، لأنه زمان، «ونحن» اسم عين، بل هي ظرف للخبر المقدر، و«إذ» الأولى ظرف لـ «عهدتهم».

وقالت الخنساء:

كان لم يَكُونُوا جِسمِي يُشَقِي إِذِ النَّاسُ إِذِ ذَاكَ مَنْ عَزَبَازَا (٩٠)  
قال ابن هشام: إذ الأولى ظرف لـ «يُشَقِي» أول «حمي»، والثانية ظرف لـ «بَزَا»،  
ومتن: مبتدأ موصول لا شرط، لأن «بَزَا» عامل في إذ الثانية، ولا يعمل ما في حيز  
الشرط فيما قبله عند البصريين.

و«بَزَا»: خبر «متن» والجملة: خبر الناس، والعائد محذوف أي من  
عزمتهم..

ولا يكون إذ الأولى ظرفاً لـ «بَزَا»، لأنه جزء الجملة التي أضيفت إذ  
الأولى إليها، ولا يعمل شيء من المضاف إليه في المضاف، ولا إذ الثانية بدل من  
الأولى، لأنها تكمل بما أضيفت إليه، ولا يتبع اسم حتى يكمل.

ولا تكون خبراً عن الناس، لأنها زمان، والناس اسم عين، «وذاك»:  
مبتدأ محذوف الخبر، أي كائن، وعلى ذلك فقس «(٩١)».

وإذا أضيفت إذ إلى الجمل الفعلية، فإن كان الفعل مضارعاً حسن  
تقديمه وتأخيرته تقول مثلاً: جئت إذ يحاضر الأستاذ، فهي مضافة إلى جملة فعلية  
فعلها مضارع، وتقول: جئت إذا الأستاذ يحاضر، فهي مضافة إلى جملة اسمية،  
وكلا الأسلوبين حسن، لا يتميز أسلوب عن أسلوب، ولكن الأمر يختلف حينما  
تضاف إذ إلى جملة تشتمل على فعل ماضٍ تقول مثلاً: جئت إذ حاضر الأستاذ،  
فهي مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ، وهذا الأسلوب مستساغ نحويًا، ولكن إذا  
قيل: جئت إذ الأستاذ حاضر فإنه أسلوب ضعيف وإن كان جائزاً نحويًا. السبب  
في هذا أن إذ ظرف للنزمن الماضي، فإذا كان في الجملة المضاف إليها فعل ماضٍ

استحبوا أن يلي إذ، لأن إذ للماضي و«حاضر» للماضي، فهناك اتفاق بينهما في الزمن، ومشكلة بينهما في الماضي يقول ابن يعيش :  
«وإذا كان الفعل مضارعاً حسن تقديمه وتأخيرته نحو: جئتك إذ يقولون زيد، وإذ زيد يقوم، وإذا كان ماضياً لم يحسن تأخيرته، لا يكادون يقولون : إذ زيد قام، وذلك لأن إذ ظرف زمان ماض، فإذا كان معك فعل ماض استحبوا إيلاءه إياه لتشاكل معناه» (٩٢).

### ثانياً : إذ بين الاسمية والحرفية

يذكر النحويون أن إذ قد تخرج عن الاسمية لتكون حرفاً يؤدي ما تؤديه حروف المعاني، ومع ذلك فهم ليسوا على اتفاق على هذه الحرفية، لأن بعضهم يرى أنها لا تخرج عن الظرفية. وإذ هذه لها معان عديدة منها :

### أ - إذ التعليلية :

يمثل التحويون لـ «إذ» التعليلية بقول الله تعالى : «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون»، (٩٣) أي ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا» (٩٤).

وقد اختلف النحويون في إذ هذه هل هي حرف أو اسم ؟

ينسب السيوطي في «معترك الأقران» إلى سيبويه أنه يرى أن إذ التعليلية حرف (٩٥).

ويذهب آخرون : إلى أنها ظرف بمعنى :، وقت، والتعليل في رأيهم مستفاد من قوة الكلام وسياقه، وليس من لفظ : إذ  
قال السيوطي عند ذكره لـ «إذ» التعليلية : «هل هي حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى الوقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ ؟ قولان المنسوب إلى سيبويه الأول» (٩٦).

وفي رأسي أن قوة الكلام لا تدخل لها في التعليل، فالتعليل في أوضح تعريف له هو: تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر» (٩٧)، فإذا قلنا مثلاً: ذاكر الطالب لينجح، فإن المذاكرة مؤثر لإثبات الأثر الناتج عنها وهو النجاح، ولم يتحقق هذا التعليل إلا باللام التي من معانيها التعليل.

أما قوة الكلام فإنها تعطى للأسلوب تأكيداً، ولم تعطه تعليلاً ولفظاً كبير بين التأكيد والتعليل.

ولو أنعمنا النظر في تقدير الذين يقولون بظرفية إذ الواقعة للتعليل لرأينا أن في هذا التقدير بُعداً وتكلفاً، وتحميلاً للألفاظ بما لا يتحمل فقد رأوا أنه «إذا قيل: ضربته إذ أساء، وأريد بـ «إذ» الوقت اقتضى ظاهر الحال أن الإساءة سبب الضرب» (٩٨).

وفي نظري، لا داعي لتقدير الوقت في هذا المثال، لأن إذ قامت مقام لام التعليل أي ضربته للإساءة، وما دامت تؤدي معنى التعليل، فإن المناسب أن تكون حرفاً كـ (لام) التعليل..

على أنه يترتب على جعلها ظرفاً إشكالات نحن في غنى عنها.

وقد أشار إلى هذه الإشكالات السيوطي حينما بين أن إذ في الآية السابقة لا تبدل من «اليوم» لاختلاف الزمانين، ولا تكون ظرفاً لـ «يشفع» لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا «مشتركون»، لأن معمول خبر «أن» وأخواتها لا يتقدم عليها، ولأن معمول الضملة لا يتقدم على الموصول، ولأن اشتراكهم في الآخرة لا في ظلمهم» (٩٩).

ويحاول الزمخشري أن يخرج من هذه الإشكالات حينما يقدر إذ في الآية بأنها دالة على الظرفية بما نصه: «فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: «إذ ظلمتم؟ قلت: معناه، إذ صح وتبين لكم، ولم يبق لكم، ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة، و«إذ» يدل من اليوم، ونظيره:



**\* إذا ما انتسبنا لم تلدنى لثيمة \***

«أى تبين أنى ولد كريمة» (١٠٠).

والمتدبر لرأى الزمخشري في نصه يرى أن «إذ» في الآية ليست للتعليل وإنما هي بدل من اليوم، باقية على ظرفيتها، ولكن يواجه الزمخشري بمشكلة مؤداها أن إذ ظرف زمان ماضٍ، «ولن ينفعكم وقاعله، «واليوم» المذكور ليس بـماضٍ، فكيف يبدل ماضٍ من مستقبل؟

لقد أحسّ الزمخشري بإشكال هذه القضية، ولكنه وجد مخرجاً لها وهو تنظيره بشرط البيت السابق.

ولوضوح هذا التنظير نقول: إن هذا الشرط تكملته:

**\* ولم تجدى من أن تُقرى بها بدًا \***

وهذا البيت لزائد بن صعصعة، وكانت له امرأة فطمحت عليه، وكانت أمها سرية فقال هذا البيت، وقبله:

رمتني عن قوسِ العَدُوِّ وباعدت عبيدُ زاد الله ما بيننا بُعداً (١٠١)  
والتنظير بهذا البيت قائم على أن جواب الشرط وهو: «لم تلدنى» ماضٍ في المعنى، وإن كان مضارعاً في اللفظ، ومُضَيِّ المعنى جاء إليه من «لم» الداخلة على الفعل المضارع حيث قلب معناه إلى المضى بعد أن كان صالحاً للحال والاستقبال هذه ناحية.

وناحية أخرى، فإن ولادته حدثت منذ زمن بعيد، ولا شك أن هذا لا يتفق مع إذا التي خصصت للمستقبل.

إن مضي جواب الشرط، والولادة التي حدثت في الزمن الماضي البعيد، كلاهما ليس مراداً للشاعر، وإنما المراد أننا إذا تفاخرنا يتبين لنا أننى لم تلدنى

لثيمة والتبئين مستقبل لاما، وبهذا التأويل صار الجواب مستقبلاً كفعل الشرط .

والذي دفعنا إلى بيان هذا التأويل هو التزام القاعدة التي وضعها النحويون لفعل الشرط حيث اشترطوا فيه ألا يكون ماضى المعنى، فلا يجوز عندهم إن قام زيد أمس أقم معه .

فإن وجه النحويون بقوله تعالى : «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» (١٠٢) فهذا مؤول والمعنى كما يقول ابن هشام «إن يتبين أنى كنت قلته» (١٠٣).

والواقع أننا لو قلنا بحرفية إذ، وأنها تقع للتعليل كـ (لام) التعليل لاستغنيا عن هذه التأويلات العديدة، والتقديرات المختلفة التي لمناها في رأى القائلين بالظرفية وعلى رأسهم الزمخشري .

والسؤال الذي يقال هنا هل هناك آيات قرآنية، أو شواهد شعرية وقعت فيها إذ تعليلية أو محتملة للتعليل غير ما ذكر؟

ابن هشام يجيب عن هذا التساؤل فيقول :

«ومما حلوه على التعليل — قوله تعالى — «وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فسيقولون هذا إِنْكَ قديم» (١٠٤)، — وقوله تعالى — «وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ» (١٠٥).

(ومن الشعر) قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَامِثِلُهُمْ بَشْرٌ (١٠٦)  
وقول الأعشى :

إِنْ مَسَّحَلًا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا (١٠٧)

أى إن لنا حلولا في الدنيا، وإن لنا ارتحالا عنها إلى الآخرة، وإن في الجماعة الذين ماتوا قبلنا إمهالا لنا، لأنهم مضوا قبلنا، وبقينا بعدهم. وإنما يصح ذلك كله على القول بأن إذ التعليلية حرف كما قدمنا» (١٠٨).

ومن إجابة ابن هشام عن هذا التساؤل نعلم أنه من المؤيدين لتعليلية إذ وحرفيتها، ففى الآية الأولى يتضح التعليل ولا يحتاج إلى تأويل فلعدم اهتدائهم رموا ماجاءت به الرسل بأنه إفاك قديم.

وفى الآية الثانية تعليل لاعتزال أهل الكهف قومهم، واعتزال عبادتهم المتمثلة فى الأصنام.

وفى بيت الفرزدق السابق لتعدد الاستشهاد به فى كتب النحو يذكره البغدادى فى الخزانة متحدثاً عن إذ فىقول : «إذ فى الموضعين للتعليل» (١٠٩) وأما البيت الثانى فقد حلل معناه ابن هشام — فىما سبق — وفى ضوء هذا التحليل لائرى واضحاً إلا معنى التعليل.

على أن الجمهور لا يشبتون هذا القسم لـ «إذ» ويجردونها من معنى التعليل.

ومعظم المفسرين درجوا على هذا المنهج، واتخذوا مذهب الجمهور مذهباً فيها هو ذا الفخر الرازى يقدر الآية الأولى بقوله :

«واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام أجاب عنه بقوله : «وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم»، والمعنى : أنهم لما لم يقفوا على وجه كونه معجزاً فلا بد من عامل فى الظرف فى قوله : «وإذ لم يهتدوا به» ومن متعلق لقوله : «سيقولون»

وغير مستقيم أن يكون «سيقولون» هو العامل فى الظرف لتدافع دلالتى الماضى والاستقبال، فما وجه هذا الكلام؟ وأجاب عنه بأن العامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه. والتقدير : وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفاك قديم» (١١٠).

و يقول العكبرى فى تقدير الآية الثانية مانصه :  
«قوله تعالى : «وإذا اعتزلتموهم» إذ ظرف لفعل محذوف أى وقال بعضهم لبعض» (١١١).

ولتستضح معنى هذه الآية في ذهن القارىء مع وجود إذ الظرفية نرى أنه من المناسب تكملة النص لتتضح رؤية الظرفية فيها من ناحية، ولإزالة بعض الاشكالات في الآية من ناحية أخرى.

قال العكيري : «وما يعبدون» في «ما» ثلاثة أوجه :

أحدها : هي اسم بمعنى الذي و «الآلة» مستثنى من «ما» أو من العائد المحذوف .

والثاني : هي مصدرية، والتقدير : اعتزلتموهم وعبادتهم لإعبادة الله .  
والثالث : أنها حرف نفي، فيخرج في الاستثناء وجهان : أحدهما هو منقطع، والثاني : هو متصل، والتقدير : وإذ اعتزلتموهم إلا عبادة الله، أو ما يعبدون إلا الله، فقد كانوا يعبدون الله مع الأصنام، أو كان منهم من يعبد الله» (١١٢).

وفي ختام بحث إذ التعليلية نحى أن نسجل في هذا البحث بيتاً للمتنبي  
أثار قضية فكرية في نفس ابن هشام، ومع أن المتنبي لا يستشهد بشعره في النحو  
لتأخر زمانه عن أزمنة الفصاحة التي سبقته، فإن ابن هشام ذكر بيته لأمرين

الأمر الأول : أن هذا البيت اشتمل على إذ وهي تحمل التعليل والظرفية

والأمر الثاني : أن أعرابه لوجود إذ فيه يحتاج إلى إيضاح. أما البيت فهو.

أمنَ ازديارك في الدجى الرقباءُ إذ حيتُ كُنتِ من الظلام ضياءُ (١١٣)  
يقول ابن هشام : «أضيفت إذ إلى الجملة الاسمية، فاحتملت الظرفية

والتعليلية في قول المتنبي [ثم ذكر البيت السابق].

وشرحه : أن أمن فعل ماضٍ فهو مفتوح الآخر، لامكسورة على أنه حرف جر كما  
توهم شخص أدعى الأدب في زماننا، وأصر على ذلك. والازديار أبلغ من الزيارة  
كما أن الاكتساب أبلغ من الكسب، لأن الافتعال للتصرف، والبال بدل عن  
التاء، و«في» متعلقة به لا بأمن، لأن المعنى أنهم أمنوا دائماً أن تزورى في  
الدجى.

وإذ : إما تعليل أو ظرف مُبدل من محلّ في «الدجى»، و «ضياء» مبتدأ خيره :

«حيث»، وابتدئ بالانكسرة لتقدم خبرها عليها ظرفاً، ولأنها موصوفة في المعنى، لأن من الظلام صفة لها في الأصل، فلما قدمت عليها صارت حالاً منها.

و«من» للبدل، وهي متعلقة بمحذوف، «وكان» تامة، وهي وفاعلها خفض بإضافة «حيث». والمعنى: إذ الضياء حاصل في كل موضع حصلت فيه بدلاً من الظلام» (١١٤).

## ب - إذ الفجائية

يبدو أن مصطلح المفاجأة أو إذ الفجائية مصطلح متأخر، نقول ذلك لأننا لم نجد كلمة المفاجأة في كتاب سيبويه حينما تعرض لبحث إذ الفجائية. وإن غابت كلمة (المفاجأة) في كتاب سيبويه فلم يغب معناها، فمعنى المفاجأة قرره سيبويه حينما يقول في «إذ»، و«إذا» اللتان تقعان للمفاجأة: «وتكون [أى إذا] - للشيء توافقه في حال أنت فيها، وذلك قولك: مررت فإذا زيد قائم، وتكون إذ مثلها أيضاً.. وذلك قولك: بينما أنا كذلك إذ جاء زيد، وقصدت قصده إذا نتفخ على فلان، فهذا لما توافقه، وتهجم عليه في حال أنت فيها» (١١٥).

وواضح أن نص سيبويه يشير إلى المفاجأة حينما يقول: «وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها». وهذا المعنى هو بعينه معنى المفاجأة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في معرض الحديث عن إذ الفجائية هو: هل هي حرف أو اسم يحمل معنى الظرفية؟

لم يحدد سيبويه معنى إذ حينما تقع للمفاجأة، هل هي حرف أو اسم إنه سكت بإزائها على حين لم يسكت بإزاء إذا الفجائية حيث قرر ظرفيتها عند الحديث عنها حينما يقول:

«وأما إذا فلما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف، وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها» (١١٦).

ومن أجل صُممت سبويه عن إيداء رأيه في إذ التي للمفاجأة هل هي  
حرف او اسم احتدم الجدل بين علماء النحو في معناها:  
رأى المبرّد؟:

يرى المبرّد أن إذ التي للمفاجأة اسم باق على ظرفيته، وهي في رأيه  
ظرف مكان في جواب: «بيننا» أو «بينما»، وهي منصوبة لما بعدها، و«بيننا»  
و«بينما» ظرفاً زمان له.

قال الرّضى موضحاً رأى المبرّد: «فمعنى: بينا زيد قائم إذ رأى هنداً:  
رأى زيد هنداً بين أوقات قيامه في ذلك المكان أى في مكان قيامه» (١١٧).  
فالمفاجأة في رأى المبرّد لم تعط لـ «إذ» معنى الحرفيّة، وإنما هي باقية على  
ظرفيتها. والجديد في رأى المبرّد أنها ليست للظرفية الزمانية، وإنما هي للظرفية  
المكانية، وبينما، وبينما قبلها تدلّان على الظرفية الزمانية وهذا هو التفسير لرأى  
المبرّد الذي أشار إليه الرضى حينما قدر في المثال السابق:

رأى زيد هنداً بين أوقات قيامه، ف «بين» مضافة للزمان، وبهذه الإضافة  
اعتبرت للزمان، و«إذ» تعنى المكان، وهو المشار إليه في عبارة الرضى: «في ذلك  
المكان» التي تساوى في معناها — إذ الفجائية .

أما عامل النصب في إذ المكانية عند المبرّد في المثال السابق هو ما بعد إذ المتمثل في  
الفعل «رأى»، في المثال .

## ٢ — رأى ابن جنى وابن الباذش :

يرى ابن جنى وابن الباذش أن إذ الفجائية ظرف، وعاملها على الظرفية  
الفعل الذي بعدها، لأنها غير مضافة إليه، وعامل: بينا، وبينما محذوف يفسره  
الفعل المذكور.

و يوافقهما (الشلوبين) في ظرفية إذ غير أنه لا يرى أن عاملها الفعل  
الذي بعدها، لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا فيما قبله، وإنما العامل في  
رأيه محذوف يدل عليه الكلام، وإذ: بدل من بينا أو بينما (١١٨).

### ٣ - رأى ابن برقي:

ويرى ابن برقي أن إذ الفجائية حرف، و يقدر العامل في «بيننا» و «بينما» ما بعد إذ الفجائية (١١٩).

وهو مذهب يستريح اليه الرضي حيث يقول: «الأولى القول بحرفية المفاجأة» (١٢٠).

### ٤ - رأى أبي حيان:

يرى أبو حيان: أنها حرف لمعنى المفاجأة إقراراً لها على ما استقر لها» (١٢١).

### ٥ - رأى ابن مالك:

أنها حرف مؤكد في هذا الأسلوب. (١٢٢).

### ٦ - رأى ابن الشجري:

يرى أنها حرف زائد إذا وقعت بعد «بيننا» و «بينما» خاصة، قال: لأنك إذا قلت: بينما أنا جالس إذ جاء زيد فقدرتها غير زائدة أعملت فيها الخبر، وهي مضافة إلى جملة: جاء زيد، وهذا الفعل هو الناصب لـ «بين»، فيعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف» (١٢٣).

\*\*\*

هذه هي قضية الخلاف في إذ الفجائية هل هي اسم أو حرف؟، وقد عرضنا هذه القضية بجوانبها المختلفة، وقد لمسنا من خلال هذا العرض أن لكل رأى دليله، ولكل قول حجته.

وإن كنت أميل إلى الرأي الذي يقول: إنها حرف، لأن معنى المفاجأة بمعنى الاستقبال، والاستقبال يؤدي بحرفي السين وسوف وهو كمعنى التعليل، والتعليل حرف يؤدي معناه باللام، فلم لا يكون معنى المفاجأة يؤدي بـ «إذ»، فيكون حرفاً كغيرها؟

وهناك قضية أخرى تتعلق بـ «إذ» غير قضية الحرفية أو الاسمية وهي :  
قضية وقوعها جواباً لـ «بيننا» و «وبينما» .

ومن أجل الخلاف حولها، أفردنا بالبحث التالي :

### قضية وقوع إذ الفجائية جواباً لـ «بيننا» و «وبينما»

للحريري في (درة الغواص) بحث جيد في وقوع إذ التي للمفاجأة بعد بينا أو بينما، لأن القائم في أذهان بعض النحويين أن وقوع إذ هذه بعد: بينا، أو بينما أمر لازم، وضرورة حتمية، وأسلوب واجب بحيث إنه إذ لم تقع إذ في جواب: بينا، أو بينما غدت هذا الأسلوب ضعيفاً أو قليل الاستعمال، فأراد الحريري أن يزيل هذا الوهم، ويبتد هذا الفهم ليؤكد لهؤلاء النحويين أنه ليس من الضروري أن تقع إذ جواباً لهذين الطرفين، بل إن الكثير الشائع أن يأتي جوابهما مجرداً منها وهو خلاف الشائع عند النحويين .

ولطرافه بحشه، وسلامة تدليله، وجمال عرضه أترك للقارىء فرصة الاستمتاع به .

يقول الحريري مانقته : «و يقولون: بينا زيد قام إذ جاء عمرو فيتلقون «بيننا» بـ «إذ»، والمسموع عن العرب: بينا زيد قام جاء عمرو بلا إذ، لأن المعنى فيه بين أثناء الزمان جاء عمرو، وعليه قول أبي ذؤيب:

بَيْنِنَا تَسْعَسُقِيهِ الْكُفْمَاةُ وَرَوْعِيهِ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيءٌ سُلْفَعُ (١٢٤)  
فقال: أتبيح، ولم يقل: إذ أتبيح.

وهذا البيت ينشد بجرّ «تعنقه» ورفع، فمن جرّ جعل الألف في «بيننا» ملتحقة لإشباع الفتحة لأن الأصل فيها: «بين»، وجرّ «تعنقه» على الإضافة.

ومن رفع رفعه على الابتداء، وجعل الألف زائدة ألحقت بـ «بين» لتوقع بعدها الجملة كما زيدت «ما» في بينما هذه العلة.



وذكر أبو محمد بن قتيبة قال: سألت الرياشي عن هذه المسألة، فقال: إذا ولي لفظة: «بيننا» الاسم العلم رفعت، فقلت: بينا زيد قام جاء عمرو وإنّ وليها المصدر فالأجود الجرّ كهذه المسألة .

وحكى أبو القاسم الأمدى في أماليه عن أبي عثمان المازني، قال: حضرت أنا و يعقوب بن السكيت مجلس محمد بن عبد الملك الزيات، فأفضنا في شجون الحديث الى أن قلت: كان الأصمعي يقول: بينا أنا جالس إذ جاء عمرو فقال ابن السكيت: هذا كلام الناس، قال: فأخذت في مناظرته، وإيضاح المعنى له، فقال لي محمد بن عبد الملك دعني حتى أبين له ما اشتبه عليه، ثم التفت إليه، وقال له: ما معنى بينا، فقال: حين، قال: أفيجوز أن يقال: حين جلس زيد إذ جاء عمرو فسكت. فهذا حكم: «بيننا». وأما بينما فأصلها أيضاً: بين، فزيدت عليها «ما» لتؤذن بأنها قد خرجت عن بابها بإضافة «ما» إليها.

وقد جاءت في الكلام تارة غير ملتقاة بـ «إذ» و «إذا» اللذين للمفاجأة، كما قال الشاعر:

• فيبينما العُسرُ إذُ دارت مياسيرُهُ (١٢٥)

وكقوله في هذه القطعة :

وبَيْنَمَا المُرءُ في الأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ أَلْرَمْسُ تَعْفُوهُ الأَعْاصِيرُ  
فتلقى هذا الشاعر «بينما» في البيت الأول بـ «إذ»، وفي الثاني بـ «إذا» وليس ببدع أن يتغير حكم «بين» بضم «ما» إليه، لأن التركيب يزيل الأشياء عن أصولها، ويحيلها عن أوضاعها ورسومها، ألا ترى أن: «رب» لا يليها إلا الاسم، فإذا إتصلت بها «ما» غيرت حكمها، وأولتها الفعل كما جاء في القرآن «ربما يؤذ الذين كفروا» (١٢٦). وكذلك «لم» حرف، فإذا زيدت عليها «ما» وهي أيضاً حرف صارت «لما» اسماً في بعض المواطن بمعنى: حين نحو قوله تعالى: «ولما جاءت رُسُلنا لوطاً» (١٢٧)، وهكذا، «قل»، و«طال» لا يجوز أن يليهما الفعل، فإذا وصلتا بـ «ما» وليهما الفعل كقولك: طالما زرتك، وقلما هجرتك» (١٢٨).

في ضوء نص الحريري الذي استوعب فيه قضية إذ الفجائية في جواب بيتنا أو بينما أستطيع أن أقول: إن استدلال الحريري على جواز انفكاك جواب بينما، وبينما من إذ قد استقاه من نص سيبويه حينما مثل سيبويه لـ «إذ» بمثالين، وهما: بينما أنا كذلك إذ جاء زيد، وقصدت قصده إذا نتفخ على فلان.

وعلق سيبويه على هذين المثالين بقوله: «فهذا لما تواقفه، وتهجم عليه في حال أنت فيها» (١٢٩).

ومع أن نص سيبويه يميز أن تقع إذ جواباً لهما، فإن كثيراً من النحويين وعلى رأسهم الأصمعي ينكرون هذا، ويقولون: لا حاجة إلى إذ ألا ترى أنك تقول: حين زيد جالس قام عمرو، وبينما بمنزلة: حين، قالوا: وأشعارهم وردت بلا إذ، وما استشهدوا به بيت أبي ذؤيب» (١٣٠) الذي سبق ذكره.

والواقع أن سيبويه يؤيده في رأيه، و يسنده في قوله بعض أشعار جاءت على غير نهج أسلوب أبي ذؤيب وإذا كان الأمر كذلك، فلاداعي للإنكار الأصمعي ومن تبعه لهذا الأسلوب، وإنما المنهج السليم أن يقال: جواز ذكر إذ بعد بينا أو بينما وجواز عدم ذكرهما، ومن غير شك فهذا تنوع في الأساليب، واتساع في التعبير وحرية في الاستعمال.

ومن الشواهد التي تؤيد سيبويه قال الشاعر:

بينما نحن بالكشيب ضحي إذ أتسى راكب على جملة. (١٣١)  
وقول الشاعر:

استقدر الله خيراً وارضىن به فبينما العسر إذ دارت مياسير (١٣٢)  
ومن ذلك قول حميد الأرقط:

بيننا الفتى يخبط في غيشاته إذ انتمى الدهر إلى عفراته (١٣٣)  
وقول القطامي:

فبينما غمير طامح الظرف يبتغي عبادة إذ وأجهت أضجم ذاخر (١٣٤)

وليس هذا الأسلوب خاص بالشعر، فقد ورد في الحديث :  
«بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل...» (١٣٥).  
فهذه الشواهد أدلّه قوّة تُرجّح رأى سيبويه في جواز وقوع إذ الفجائية  
جواباً لهذين الظرفين.

وليس معنى ذلك أن وجودها في مثل هذه الأساليب ضرورة لا بد منها  
والتزام لا بد من المحافظة عليه، وذلك لأنه كما وردت إذ جواباً في بعض  
الأساليب وردت أساليب أخرى مجردة من إذ .  
ومن هذه الأساليب بيت أبي ذؤيب السابق.

ومتها أيضاً قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَتُصْرِكِ الْمَوْتَ لَا تَمْرَحَلْ عَنْهُ وَلَا قَوْتُ  
بَيْنَا غِنَى بَيْتِ وَبَسْجِيتهِ زَالِ الْغِنَى وَتَقْوُصِ الْبَيْتِ  
وقول ابن هرمة في باب النسيب من الحماسة :

بينما نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعاً وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيّاً  
خَطَرَتْ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِ سِرَاكِ وَهَذَا فَمَا اسْتَطَعْتَ مُضِيّاً (١٣٦)  
على أنه يلاحظ أن بيت أبي ذؤيب الذي استشهد به الحريري على جواز  
تجرّد جواب «بيننا» من إذ، أضيفت «بيننا» فيه للمصدر الذي بعدها وهو:  
«تعتقه»، ومعنى ذلك أن «بيننا» أضيفت إلى الأسماء المفردة. وبعض النحويين  
لا يمتنعون ذلك، لأن المصادر فيها معنى الفعل وذلك للحمل على حين كقولك:  
«بيننا قيام زيد أقبل عمرو، أي حين قيام هذا أقبل ذلك» (١٣٧).

و يبين لنا البغدادي في الخسزارة أنه إذا وقع بعدها اسم جوهر لم يكن  
إلا رفعا نحو: بينا زيد في الدار أقبل عمرو لأنها ظرف زمان فلا تضاف إلى جثة  
كما لا تكون خبراً عنها» (١٣٨).

ومن الجدير بالذكر أن نسجل هنا أن الأصمعي «كان يقول : بينا  
يضاف إلى المصادر خاصة، والنحويون يخالفونه، ويقولون: بينا وبينما عبارتان

للحين، وهما مبهمتان لا تضاقان الا إلى الجمل التي تبينها فإذا قلت : بينا أنا جالس طلع زيد فالمعنى: حين أنا جالس أو وقت أنا جالس طلع زيد» (١٣٩).

ومعنى ذلك أن معظم النحويين يمنعون إضافة «بيننا» إلى ما بعدها فإذا اعترض عليهم بيت أبي ذؤيب، قالوا: إن «رواية النحويين والناس: «بيننا تعنقة الكماة، فيرتفع «تعنقه» بالابتداء و يكون خبره مضمراً كأنه قال : بيننا تعنقه الأبطال حاصل معهود ومعتمد مألوف أتيح له يوماً رجل جرىء» (١٤٠).

ويجدر بنا، ونحن نعالج قضية اذ الفجائية في جواب بينا وبينما أن نشير إلى أن هناك فرقاً بين الأسلوبين، أو بعبارة أخرى بين الصيقتين، ولانبالغ إذا قلنا قد تتعدد الدلالة، و يتنوع الأسلوب، وذلك ما سنناقشه في النقطة التالية :

### الفرق بين «بيننا» و «بينما» في الدلالة والاستعمال:

إن أصل «بين» كما يقول الرضى: «أن يكون مصدراً بمعنى : الفراق، فتقدير: جلست بينكما أى مكان فراقكما، وتقدير: فعلت بين خروجك ودخولك أى زمان فراق خروجك ودخولك، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه» (١٤١).

ومن هذا النص نتبين أن : «بين» تستعمل في المكان والزمان، لأنه : «إن أضيف إلى الأمكنة أوجئت غيرها فهو للمكان نحو: بين الدار، وبين زيد وعمرو.

وإن أضيف إلى الأزمنة فهو للزمان نحو: بين يوم الجمعة والأحد. وكذا إن أضيف إلى الأحداث نحو: بين قيام زيد وعوده إلا أن يراد به مجاز المكان نحو قولك: زيد بين الخوف والرجاء، استعيرت لما بين الحدثين مكاناً، فلهذا وقع «بين» خبراً عن الجثة» (١٤٢).

وتوضيح العبارة الأخيرة في نص الرضى: أن بين الحدثين: الخوف

والرجاء مدة زمنية، وقد استعير هذا الزمن الواقع بين الحديثين للمكان، فكان ما بين الحديثين، الخوف والرجاء مكان، وهذا المكان متمثل في : «بين» .

ومن أجل وقوع «بين» مكاناً على جهة الاستعارة صبح أن تكون خبراً عن الذوات التي عبر عنها الرضى بالجنة، وذلك لأن ظرف الزمان لا يقع خبراً عن الذوات فلا نستطيع أن نقول مثلاً: محمد الساعة ولا خالد اليوم، على حين يمكننا أن نقول: المذاكرة الساعة، والصوم اليوم، وهذا بسبب أن ظرف الزمان لا يقع خبراً للذوات، وإنما يقع خبراً لأسماء المعاني، وبخلاف ذلك ظرف المكان الذي يقع خبراً عن الذوات مثل الجامعة أمامك، وخبراً عن المعاني مثال: الاستعداد عندك.

ويضيف الرضى حقيقة أخرى لـ «بين» حينما يقرر أن : «بين» حينما تلحق بها الألف لتكون: «بيننا» أو «ما» لتصير: «بينما» لا تكون إلا للزمان حينما تضاف إلى الجمل، لأنه لا يضاف من ظروف المكان إلى الجمل إلا حيث.

قال الرضى: «وأما إذا كتبت بـ «ما» أو الألف وأضيف إلى الجمل لا يكون إلا للزمان لما تقدم أنه لا يضاف من المكان إلى الجمل إلا حيث» (١٤٣).  
وأما الفرق بين: «بيننا» و «بينما» فهو كما يقول اللسان: قال أبو عمرو: (١٤٤) سمعت المبرد يقول: إذا كان الاسم الذي يحىء بعد «بيننا» اسماً حقيقياً رفعت بالابتداء، وإن كان مصدراً خفضته ويكون: «بيننا» في هذا الحال بمعنى: بين . قال : فسألت أحمد بن يحيى عنه، ولم أعلمه قائله، فقال هذا الدر» (١٤٥).

وأما بيننا فإن الأمر فيها يختلف عن «بيننا» وذلك لأن الاسم بعدها مرفوع دائماً سواء كان اسم ذات أو اسم معني.  
قال في اللسان: «وأما بيننا فالاسم الذي بعده مرفوع وكذلك المصدر» (١٤٦).

في ضوء هذين النصين نصل الى الحقائق الآتية بالنسبة لهاتين الصيغتين:

أ - ما بعد «بيننا» إن كان اسماً حقيقياً و يعنى بالاسم الحقيقي المقابل لاسم المعنى - رفع هذا الاسم .

ب - إن كان ما بعد «بيننا» اسم معنى جرّ بالإضافة وحينئذ تكون «بيننا» بمعنى «بين»، وإذا كانت كذلك فإنها تأخذ حكم: بين في الإضافة، وبين كما علمنا «لا يضاف إلا لما يدل على أكثر من الواحد، أو ما عطف عليه غيره بالواو دون سائر حروف العطف نحو: المال بين القوم، والمال بين زيد وعمرو» (١٤٧)

وظاهر الأمر أن «بيننا» بالألف لا تضاف إلى ما تضاف إليه «بين» لأن «بين» إذا أضيف إليها الألف لا تكون إلا للزمان، وإضافة ما يدل على الزمان إلى الجمل أمر مقرر في الأساليب العربية، وجائز استعمالاً مثل: أتيتك زمن الحجاج أمين أو أوان الخليفة عبد الملك.

أما بين كما يقول الرضى في نص سبق ذكره - إن أضيف إلى الامكنة فهو للمكان، وإن أضيف إلى الأزمنة فهو زمان.

ج - إذا كانت الجملة مبدوء بـ «أينما» فالاسم الذي بعدها مرفوع دائماً.

هذه هي أهم الفروق بين «بيننا» و «بينما»، وقد عرفنا من قبل أن أصل هاتين الصيغتين: «بين»، وبإضافة اللاحقتين الألف و «ما» عليها تغير الحكم من الناحية الوظيفية، ومظاهر هذا التغير ما يأتي:

أ - وقوعهما في أول الجملة، لأنهما ظرفان يبتدأ بهما.

ب - أن يكون لهما جواب، مقرون بـ «إذ» أو غير مقرون.

٣ - أن تضافا إلى الجمل

وفي هذا التفسير في الحكم، والدلالة، والوظيفة يقول الحريري: «ومن جعل الألف زائدة ألحقت بـ «بين» لتوقع بعدها الجملة، كما زيدت «ما» في بينما لهذه العلة» (١٤٨).

ولم يكتب الحريري بهذه القلة بل أضاف إليها دليلاً آخر حينما يقول: «وليس ببدع أن يتغير حكم «بين» بضم «ما» إليه، لأن التركيب يزيل الأشياء عن أصولها، ويحيلها عن أوضاعها ورسومها، ألا ترى أن: «رب» لا يليها إلا الاسم، فإذا اتصلت بها «ما» غيرت حكمها، وأوليتها الفعل كما جاء في القرآن: «ربما يود الذين كفروا» (١٤٩).

وكذلك: «لم» حرف، فإذا زيدت عليها «ما» وهي أيضاً حرف صارت «لما» اسماً في بعض المواطن بمعنى: حين نحو قوله تعالى: «ولما جاءت رُسُلنا لوطاً» (١٥٠).

وهكذا، «قلّ» و «طال»، لا يجوز أن يليهما الفعل، فإذا وصلت بـ «ما» وليهما الفعل كقولك: طالما زرتك، وقلما هجرتك» (١٥١).

وقبل أن ننهي الحديث عن إذ التي للمفاجأة أحب أن أشير إلى خطأ مشهور لا يسلم منه كثير من المثقفين حتى الخاصة، فقد درجوا أن يقولوا مثلاً: العرب مختلفون بينما الأعداء متفقون، وهو أسلوب لا تعرفه العربية، لأن «بينما» و «بينما» تقعان في أول الجملة حيث يبدأ بهما، ولا تقعان في وسط الكلام. والصواب أن يقولوا في مثل هذا التعبير:

العرب مختلفون على حين الأعداء متفقون.

### ج - إذ الزائدة :

هل وقوع إذ زائدة حقيقة مسلم بها في الدراسة النحوية؟ الواقع أنها قضية ثار حولها الجدل، واحتدم النزاع، وتصارعت الأفكار، ولعل أول من فتح باب هذه القضية إمام اللغويين والنحويين أبو عبيدة معمر بن المثنى، فقد ادعى أن إذ تقع زائدة.

ومعنى زيادتها أنها لغو لا تحمل معنى، ولا تعطى بياناً، ولا تفيد شيئاً، وهذا أمر غريب، وغريب حقاً من أبي عبيدة أن يقول ذلك، لأن إذ في أصل

وضعها جاءت لمعنى، ولو حكمنا باسميتها، وهو الكثير الغالب فإنه من الخطأ أن نقول بزيادتها في حالة الاسمية، لأن أقرب تعريف للاسم في النحو: هو اللفظ الدال على معنى، فكيف إذن يجعلها أبو عبيدة لتصبح بلامعنى، وبخاصة في كتاب الله؟

ولنترك أبا عبيدة يعرض رأيه في هذه القضية:

يقول أبو عبيدة في قوله تعالى: «إذ قالت امرأة عمران رب، إني نذرتُ لك ما في بطني مُحرراً، فتقبلُ مني» (١٥٢).

قال الفخر الرازي: قال أبو عبيدة: إنها زائدة لغوياً، والمعنى: قالت امرأة عمران، ولا موضع لها من الإعراب» (١٥٣).

وكرر أبو عبيدة القول بزيادتها في موضع آخر، فقد قال في قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة» (١٥٤).

قال أبو جعفر الطبري: «زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله: وإذ قال ربك: وقال ربك، وأن: إذ من الحروف الزائدة، وأن معناها الحذف» (١٥٥).

ومن غير شك أن قائل ذلك في نصّ الطبري هو أبو عبيدة، لأن الفخر الرازي صرح باسمه في النص الذي سقته قبل نصّ الطبري.

وموضع التساؤل هو لماذا لم يصرح بذكره الطبري كما صرح بذكره الفخر الرازي؟ يبدو لي أن الطبري تجاهل ذكر اسمه لسخافة رأيه في قضية زيادة إذ، وأنه في نظر الطبري لم يكن على قدر كبير من العلم يجعله يصرح باسمه، والآ فما سرّ هذا التعبير الذي يحمل الاستخفاف حينما يقول: «زعم بعض المنسوبين إلى العلم» إن كلمة: المنسوبين إلى العلم هي الاستخفاف بعينه إن لم تكن تحمل معنى الاستخفاف.

والواقع أن الطبري لم يكن المنفرد بين العلماء في هذا الرأي، لأنه يبدو لي أن أبا عبيدة وإن كان كما يقول يزيد بن مرة: «ما كان أبو عبيدة يفتش عن



علم من العلوم إلا كان مَنْ يفتّشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره، ولا يقوم بشيء، أجود من قيامه به» (١٥٦) أو كما يقول أبو نواس عنه: «أديم طوي على علم» (١٥٧) — ليس له باع طويل في علم العربية لأنه كما يقول أبو قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها» (١٥٨) والعلم بالغريب غير العلم بالتراكيب. والنص المؤيد لرميه بالضعف في النحو أو التراكيب العربية ما ذكره أبو حاتم حينما قال عنه:

«وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يقم إعرابه، وينشده مختلف العروض» (١٥٩) ولا شك أن هذا الضعف في النحو هو الذي حل الطبري على أن يتجاهل اسمه، ويجعله منسوباً إلى العلم، ولم يجعله من أهل العلم. على أية حال، فإن عبارة الطبري تحمل في طياتها الغضب من قدر أبي عبيدة في مجال النحو والإعراب.

نقد رأى أبي عبيدة:

نقد الزجاج:

قال الزجاج: «لم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً، لأنه لا يجوز إلغاء حرف من كتاب الله تعالى، ولا يجوز حذف حرف من كتاب الله تعالى من غير ضرورة» (١٦٠).

نقد الطبري:

قال الطبري: «والأمر في ذلك بخلاف ما قال، وذلك أن إذ حرف يأتي بمعنى الجزاء، ويدل على مجهول من الوقت، وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام» (١٦١).

وبعد نقد الزجاج والطبري لرأى أبي عبيدة، وإنكار زياد إذ في الآيتين نعرض لأدلة القائلين بعدم زيادة إذ، وأنها ما وضعت في الكلام إلا لتؤدي معنى من المعاني.

ونتناول آراءهم في الآية الأولى وهي : «وإذا قالت امرأة عمران» الخ  
ثم رأى الطبري في الآية الثانية وهي : «وإذا قال ربك للملائكة» وسأحاول أن  
أبدي رأياً في هذه القضية بعد ذلك إن شاء الله :

— رأى المبرد في الآية الأولى :

يرى المبرد في الآية الأولى وهي آية آل عمران أنَّ إذ معمول الفعل محذوف تقديره :  
اذكر، وتسعه الأخفش حيث وافق على رأيه، وقدّر تقديره، قال الفخر الرازي  
مانصه : «قال الأخفش والمبرد : التقدير : اذكر إذ قالت امرأة عمران» (١٦٢).

رأى الزجاج :

يرى الزجاج : أن التقدير ليس «اذكر» كما يرى المبرد والأخفش، وإنما  
هو : اصطفى المذكورة قبل «إذ» .. ونص رأيه كما ذكره الفخر الرازي «قال  
الزجاج : التقدير : واصطفى آل عمران على العالمين إذ قالت امرأة عمران» (١٦٣)

نقد رأى الزجاج :

طعن ابن الأنباري في رأى الزجاج، وقال : «إن الله تعالى قرن  
اصطفاء آل عمران باصطفاء آدم ونوح .

ولما كان اصطفاءه تعالى آدم ونوحاً قبل قول امرأة عمران استحال أن يقال : إن  
هذا الاصطفاء مقيد بذلك الوقت الذي قالت امرأة عمران هذا الكلام  
فيه» (١٦٤).

و يدافع الفخر الرازي عن رأى الزجاج، وعن دفع الاعتراض الذي وجه  
إلى رأيه قائلاً :

ويمكن أن يجاب عنه بأن أثر اصطفاء كل واحد إنما ظهر عند وجوده وظهور  
طاعته، فجاز أن يقال : إن الله اصطفى آدم عند وجوده ونوحاً عند وجوده، وآل  
عمران عندما قالت امرأة عمران هذا الكلام» (١٦٥).

## رأى آخر:

يرى بعض العلماء أن إذ في الآية متعلق بقوله تعالى : «سميع عليم» ولم ينص الفخر الرازي على أصحاب هذا الرأي ، و يبين لنا من هم بدلاً من كلمة : «بعضهم» .

قال الفخر: «قال بعضهم: هذا متعلق بما قبله، والتقدير: والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران هذا القول» (١٦٦).

و يرى الفخر أن هذا الرأي يحمل في طياته اعتراضاً أو سؤالاً، وقد سجل هذا الاعتراض أو هذا السؤال وأجاب عنه. قال الفخر: «فإن قيل: إن الله سميع عليم قبل أن قالت امرأة عمران هذا القول، فما معنى هذا التقييد؟

قلنا : إن سمعه تعالى لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام، وعلمه تعالى بأنها تذكر ذلك مقيد بذكرها لذلك، والتغيير في العلم والسمع إنما يقع في النسب والمتعلقات» (١٦٧).

## موقع إذ في الآية الثانية وهي آية البقرة :

أنكر أبو جعفر الطبري بشدة وقوع إذ زائدة في القرآن الكريم، وحمل على ابن عبيدة في قوله بذلك، لأن القرآن الكريم لا يوجد فيه كلام زائد، لأن كل كلمة من كلماته تؤدي معنى، لأنها سيقت من أجل هذا المعنى، فالقول بزيادة بعض الكلمات في القرآن كـ «إذ» لغو من القول، وضرب من الهديان، ولم يكتف أبو جعفر بالنقد العام، ولكنه نقداً غلمياً، مبيناً رأيه في إذ هذه، وأنها جاءت لغرض، وسيقت لمعنى، وسجلت لهدف.

قال: لو أبطلت إذ، وحذفت من الكلام لاستحال عن معناه الذي هو به وفيه «إذ» .

فإن قال قائل : فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لـ «إذ» إذا لم يكن في الكلام قبله ما يعطف به عليه .

قيل له : قد ذكرنا فيما مضى أن الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » (١٦٨) بهذه الآيات، والتي بعدها فوبخهم مقبحاً لهم سوء فعلهم، ومقامهم على ضلالهم مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم، ومدكرهم بتعدد نعمه عليهم وعلى أسلافهم بأسئله أن يسلكوا سبيل من هلك من أسلافهم في معصية الله، فيسلك بهم سبيلهم في عقوبته، ومعرفهم ما كان منه من تعطفه على التائب منهم استعتاباً منه لهم، فكان بما عده من نعيه عليهم أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً، وسخر لهم ما في السموات من شمسها وقمرها، ونجومها، وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم، ولسائر بني آدم معهم منافع، فكان في قوله : « كيف تكفرون بالله، وكنتم أمواتاً فأحياكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون معنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم إذ خلقتكم، ولم تكونوا شيئاً، وخلقت لكم ما في الأرض جميعاً، وسويت لكم ما في السماء، ثم عطف بقوله : « وإذ قال ربك للملائكة » على المعنى المقتضى بقوله : كيف تكفرون بالله إذ كان مقتضياً ما وصفت من قوله : اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلت، واذكروا فعلي بأبيكم آدم إذ قلت للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفه ».

ويسترسل الطبري في الدفاع عن رأيه، وتقديم السند لدليله، وأن ماعرضه من رأي وماقدمه من الدليل ليس بعيداً عن كلام العرب، ولا غريباً عن نسجهم في كل ما يقولون .

يقول : فإن قال قائل : فهل لذلك من نظير في كلام العرب نعلم به صحة ما قلت، قيل : نعم، أكثر من أن يحصى .

من ذلك قول الشاعر :

أجذك لن ترى بشُعَيْلِباتٍ ولا بَيْدَانٍ نَاجِيَةً دُؤُولَا

ولامتدادك والشمس طُفُلٌ ببعض نواشغ الوادى حمُولاً (١٦٩).  
فقال : «ولامتدادك»، ولم يتقدمه فعل بلفظه يعطف عليه، ولا حرف معرب  
إعرابه فيرد: «متدادك» عليه في إعرابه، ولكنه لما تقدمه فعل مجرود بـ «لن» يدل  
على المعنى المطلوب في الكلام، وعلى المحذوف استغنى بدلالة ما ظهر منه عن  
إظهار ما حذف، وعامل الكلام في المعنى والإعراب معاملته أن لو كان ما هو  
محذوف منه ظاهراً، لأن قوله :

### ✽ أجذك لن ترى بشعيلبات ✽

بمعنى : أجذك لست براء، فرد : «متداركاً» على موضع : «تري»  
كان : لست والباء موجودتان في الكلام.

فكذلك قوله : «وإذ قال ربك للملائكة» مع ما بعده من التعم التي عددها  
عليهم، ونبههم على مواقعها ردة «إذ» على موضع : «وكنتم أمواتاً فأحياكم، لأن  
معنى ذلك : اذكروا هذه من نعمي، وهذه التي قلت فيها للملائكة، فلما كانت  
الأولى مقتضية «إذ» عطف «وإذ» على موضعها في الأولى، كما وصفتنا من قول  
الشاعر في : «ولامتدادك» (١٧٠).

واضح إذاً من نص الطبري في الدفاع عن رأيه، والإنكار على من ادعى  
زيادة إذ أنه سلك مسلكاً علمياً حيث عرض لشبهة أبي عبيدة في أن إذ في الآية  
زائدة أو لغو، ومؤدى هذه الشبهة أن إذ لم يكن قبلها كلام يعطف عليه فوجودها  
بعد واو العطف كلا وجود.

أجل أن إذ وقعت بعد واو العطف في آيات أخرى، ولكن لم يدع أبو  
عبيدة زيادتها في هذه الآيات، لأن ما قبلها من الكلام يمكن أن يعطف عليه بالواو  
التي بعدها إذ .

من هذه الآيات : قوله تعالى : «وإذ نجيناكم من آل فرعون»، (١٧١) إن  
إذ «في هذه الآية لم يستطع أبو عبيدة أو غير أبي عبيدة أن يقول بزيادتها لأنها

سبقته بـ «اذكروا» الذي سبق في قوله تعالى : «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» (١٧٢)، ومن هنا نجد القرطبي يقول :

«إذ في موضع نصب عطف على : «اذكروا نعمتي» ، وهذا وما بعده تذكير ببعض النعم التي كانت له عليهم، أي اذكروا نعمتي بإنجائكم من عدوكم وجعل الأنبياء فيكم» (١٧٣). ومنها : قوله تعالى : «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم» (١٧٤)، أي واذكروا إذ فرقنا بكم البحر، فـ «إذ» في الآية معطوفة على إذ السابقة في قوله تعالى : «واذكروا نعمتي».

ومنها : قوله تعالى : «وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة» (١٧٥) يقال في إذ هذه ما قيل في إذ قبلها.

ومنها : قوله تعالى : «وإذ استسقى موسى لقومه» (١٧٦) فـ «إذ» معطوفة على ما سبق حيث تقدم الفعل : «واذكروا» في قصة واحدة المخاطب فيها بنو اسرائيل. ومن أجل ذلك كانت شبهة أبي عبيدة حيث لم يتقدم «واذ» التي في قوله تعالى : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا» (١٧٧) ما يعطف عليه، ومن هنا قال ما قال حول زيادتها.

ولو تدبر أبو عبيدة في الآيات التي قبلها لعلم أن الآيات السابقة لـ «واذ» كلها تذكرون نعم الله تعالى، وتنكر على الكفار والمعاندين كفرهم بالله مع وجود هذه النعم التي تملأ السموات والأرض.

ومن دون شك فإن هذه الآيات تحمل معنى : واذكروا هذه النعم إذ فعلت لكم كذا وكذا أو على حد تعبير الطبري : «إذ فعلت بكم وقعلت»، كذلك فإنها إلى جانب ذلك تحمل معنى : واذكروا فعلى بأبيكم آدم إذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة».

على أن نقد أبي عبيدة في زيادة إذ في هذه الآية ليس مقصوداً على الطبري، فقد شاركه في نقد هذا الرأي الزجاج والنحاس وجميع المفسرين، كما نقده الزجاج في قوله بزيادة «إذ» في آية آل عمران : «إذ قالت امرأة عمران» وقد سجلنا رأيه في هذا الموضع الذي سبق ذكره.

أما في هذه الآية وهي : «وإذ قال ربك للملائكة» فإن القرطبيّ شارك  
الطبري رأيه في هذا النقد، بل ورأيه في التوجيه السابق، والتقدير الذي ذكرناه.  
قال القرطبيّ :

«وقال معمر بن المثنى أبو عبيدة: إذ زائدة، والتقدير: وقال ربك،  
واستشهد بقول الأسود بن يعضر:

فإذ وذلك لامهسة لذكرو والدهر يُعقب صالحاً بفساد (١٧٨)  
وأنكر هذا القول الزجاج والنحاس، وجميع المفسرين

قال النحاس: وهذا خطأ لأن : «إذ» اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزداد.  
وقال الزجاج : هذا اجترام من أبي عبيدة».

ومضى القرطبيّ يعرض رأيه في حلّ اشكالها في هذه الآية قائلاً : «ذكر  
الله عز وجل خلق الناس وغيرهم، فالتقدير: وابتدأ خلقكم إذ قال فكان هذا من  
المحذوف الذي دلّ عليه الكلام كما قال:

فإن التسمية من يخشها فسوف تصادفه أينما  
يراد : أينما ذهب

ويحتمل أن تكون متعلقة بفعل مقدر، تقديره: واذكر إذ قال. وقيل : هو  
مردود إلى قوله تعالى : «اعبدوا ربكم الذي خلقكم» (١٧٩)، فالمعنى الذي  
خلقكم إذ قال ربك للملائكة.» (١٨٠).

### رأى ومناقشة :

أعتقد أننا أشبعنا القول في «إذ» التي في البقرة من قوله تعالى : وإذ قال  
ربك للملائكة» وبيّنا خطأ أبي عبيدة في رأيه، والردود التي نُقدّ بها، وبقي أن  
نضيف — إلى ما ذكره المفسرون في آية آل عمران : «إذ قالت امرأة عمران ربّ  
إنى نذرت لك ما في بطني محرراً [آل عمران/٣٥] — رأياً آخر، تقتضيه بلاغة

القرآن، أو بعبارة أخرى بلاغة الحذف، وذلك لأن هناك آيات عديدة وردت فيها «إذ» بدون أن يذكر معها فعل سابق تتعلق به، وبخاصة في أوائل القصص القرآنية وقد درج علماء التفسير أن يقدرُوا له «إذ» هذه فعلاً تعلق به، ويفضلون أن يكون الفعل أمراً من «ذكر» للواحد: «اذكر»، وللمخاطبين «اذكروا»، ولهذا علة أو سبب فإن آيات من القرآن الكريم ورد فيها هذا الفعل بالذات . من ذلك قوله تعالى : —

١ — واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح» (١٨١)

وفيهما قوله تعالى :

٢ — «واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم» (١٨٢).

ومنها قوله تعالى :

٣ — واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض» (١٨٣).

ومنها قوله تعالى :

٤ — «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» (١٨٤)

ومنها قوله تعالى :

٥ — «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود» (١٨٥).

فإذا ماوردت بعض الآيات التالية من دون اذكر» أو اذكروا» قدر هذا الفعل المحذوف».

من ذلك قوله تعالى :

١ — إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك» (١٨٦)

ومن ذلك قوله تعالى :

٢ — إذ قال الخواريثون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة» (١٨٧).

ومن ذلك قوله تعالى :

٣ — «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية» (١٨٨).



وما ذكرناه في هذا الرأي أشار إليه أبو البقاء في الكليات حيث يقول :  
« كل ما ورد في القرآن (وإذ) فـ (اذكر) فيه مضمراً أي اذكر لهم أو في  
نفسك كيفما يقتضيه صدر الكلام .

وإذ منصوب به ، وعليه اتفاق أهل التفسير مع أن القول واقع فيه ولم  
يجعلوه ظرفاً له بل مفعولاً به على سبيل التجوز مع أنه لازم الظرفية ، فعدلوا عن  
الحقيقة إلى المجاز ، لعدم إمكان اعتبار مظرؤية المضاف إليه « (١٨٩) .

وقبل أن أنتهى من بحث «إذ» الزائدة في القرآن الكريم أحب أن أمر  
سريعاً على قضية الزيادة في القرآن الكريم ، لأن الآراء التي سبقت ظاهرها منع  
هذه الزيادة ، ورمي من قال بها بالجهل والإجرام على حد تعبير الزجاج عن أبي  
عبيدة حينما قال القول الذي سجلناه فيما سبق : « هذا اجترام من أبي عبيدة » .

### قضية الزيادة في القرآن الكريم :

الواقع هناك آيات قرآنية كثيرة زيدت فيها حروف ، ولا تحتمل  
التأويل ، لأن وجه الزيادة فيها أوضح من أن ينكر ، وأشهر من أن يجحد  
ومستعرض هذه الحروف التي زيدت مؤكدين أن ذلك لا يخجل ببلاغة القرآن ، بل  
لا يزرى بقدسيته ، ولا تعد هذه الزيادة جرأة على كتاب الله ، وانتساب الزيادة  
إليه .

### أولاً : زيادة الباء :

— من ذلك قوله تعالى : «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا» (١٩٠) فإن  
التقدير: فإن آمنوا مثل ما آمنتم به .

— ومن ذلك قوله تعالى : «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ» (١٩١) . أي  
لا تلقوا أيديكم ، وعبراً بالأيدى عن الذوات .

— ومن ذلك قوله تعالى : «بِجَزَاءِ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (١٩٢) ، فالمعنى على رأي  
الأخفش : جزاء سيئة مثلها ، وكأنه استدل على ذلك بالآية الأخرى :  
«(و)بِجَزَاءِ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (١٩٣)

— ومن ذلك : «وكفى بالله شهيداً»، (١٩٤) «وكفى بالله حسيباً» (١٩٥)،  
«وكفى بجهنم سعيراً» (١٩٦).

— ومن ذلك قوله تعالى : «أسمع بهم وأبصر» (١٩٧)، فإن المعنى : صاروا ذوى  
بصر وسمع.

قال الزجاج : «وأما الدلالة على زيادتها في قولها: أكرم به، وقوله: «أسمع بهم  
وأبصر»، فهي أن الفعل لا يخلو من أن يكون للمخاطب أو الغائب فلو كان  
للمخاطب لشي في الفاعل تثبته للمخاطب، وجمع بجمعه، وأنت لتأنيته، فلما  
أفرد في جميع الأحوال، ولم يعتبر به الخطاب علم أنه ليس للمخاطب، وإذا لم  
يكن له ثبت أنه للغائب» (١٩٨).

— ومن ذلك قوله تعالى : «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» (١٩٩)، وما هو بمزحزحه» (٢٠٠)،  
وما أنتم بمؤمنين» (٢٠١).

وفي قوله تعالى : «بَأْيُكُمْ الْمُفْتُونَ» (٢٠٤)، فقد قيل : الباء زائدة،  
والتقدير: أيكم المفتون.

ومن زيادة الباء التي لا تحتل التأويل قوله تعالى :

«أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى» (٢٠٥)، والتقدير: ألم يعلم أن الله يرى: لقوله تعالى في  
آية أخرى: «و يعلمون أن الله» (٢٠٦).

وفي قوله تعالى : «وهزى إليك ييجزع النخلة» (٢٠٢)، فقد قيل : الباء  
زائدة والتقدير: وهزى إليك جذع النخلة.

وفي قوله تعالى : «تَنبُتُ بِالذُّهْنِ» (٢٠٣)، فقد قيل التقدير: تنبت الدهن بزيادة  
الباء.

وقوله تعالى : «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» (٢٠٧)، أى اقرأ اسم ربك لقوله تعالى  
في آية أخرى: «فإذا قرأناه» (٢٠٨).

### ثانياً : زيادة من :

- وكما زيدت الباء في بعض الآيات زيدت «مين» ومن أمثلها:
- قوله تعالى : «مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ» (٢٠٩) أى مالكم إله
  - قوله تعالى : «هل من خالقٍ غَيْرُ اللَّهِ» (٢١٠)
  - قوله تعالى : «وما من إلهٍ إلاَّ اللَّهُ» (٢١١)
  - قوله تعالى : «وما من إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحدٌ» (٢١٢)
  - قوله تعالى : «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا» (٢١٣)
  - قوله تعالى : «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكُنَّ عَلَيْكُمْ» (٢١٤)

### ثالثاً : زيادة اللام :

من ذلك :

- قوله تعالى : «لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» (٢١٥)
- قوله تعالى : «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ» (٢١٦).
- قوله تعالى : «رَدِّفْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» (٢١٧)
- قوله تعالى : «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» (٢١٨)

:

### رابعاً : زيادة الواو :

من ذلك :

- قوله تعالى : «حتى إذا فَتَحَتْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ» (٢١٩) جوابه قوله:
- «واقترب الوعد الحق» . (٢٢٠) قال الفراء : الواو مقحمة . (٢٢١)
- قوله تعالى : «فلما أسلما وتله للجبين» (٢٢٢) الواو زائدة، أى تله .
- قوله تعالى : «إذا السَّماءُ انشقت وأذنت لربها وحقت» (٢٢٣) . الواو مقحمة» (٢٢٤) .

## رابعاً : زيادة «لا»

من ذلك :

— قوله تعالى : «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» (٢٢٥).  
قال : (لا) في قوله : «ولا الضالين» زيادة، «وجاءت زيادتها لمجيء (غير) قبل الكلام، وفيه معنى النفي، ألا ترى أن التقدير: لا مغضوباً عليهم ولا الضالين، وكما جاء: «وما يَستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ»، (٢٢٦)، فكرر «لا» وهي زيادة، وكذلك هذا»

— ومن ذلك :

— وقوله تعالى : «وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون» (٢٢٧). فـ«لا» زائدة والمعنى : وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون .  
— ومن ذلك :

— قوله تعالى : «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون» (٢٢٨).  
— قالوا «لا» زائدة، والتقدير: «وحرام على قرية أهلكناها رجوعها إلى الدنيا.  
— ومن ذلك :

قوله تعالى : «لئلا يعلم أهلُ الكتاب» (٢٢٩)، قالوا : التقدير : ليعلم أهل الكتاب، و«لا» زائدة، أجمعوا على هذا (٢٣٠).  
— ومن ذلك :

— قوله تعالى : «ما متعك ألا تسجد إذ أمرتُك»، والتقدير: ما منعك أن تسجد، فـ«لا» زائدة (٢٣١).

## خامساً : زيادة «ما»

من ذلك :

— قوله تعالى : «فبما رحمة من الله» (٢٣٢).  
— قوله تعالى : «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم» (٢٣٣)  
— قوله تعالى : «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم» (٢٣٤)

— قوله تعالى : «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضِجَنَّ» (٢٣٥) أى عن قليل.

— قوله تعالى : «جندما هنالك» (٢٣٦) أى جند هنالك (٢٣٧).

وبعد، فهذه نصوص سقتها لأثبت في ضوئها أن حروف الزيادة تقع في القرآن وليس وقوعها اعتباراً أو جزافاً، لأن الأسلوب يقتضيها، حقاً إن زيادتها من مقتضيات المعنى ولكن، وجودها أيضاً من مقتضيات الأسلوب، وفرق بين المقتضى في مجال المعنى، والمقتضى في مجال الأسلوب.

وذلك أن الأسلوب هو من نسج العربية، والعربية لا تنكر مثل هذه الأساليب التي تراد في الحروف، ولا تستطيع أن تقول: إن القرآن الكريم جاء على أساليب لم يعرفها العرب، وإلا فما الداعي للتحدي، إذا كان أسلوبه مختلفاً ونمطه متبايناً، وطريقته في التعبير على غير نسق تعبيرهم.

إن هذه الحروف زائدة في المعنى، ولكنها طريقة أسلوبية جرى عليها القرآن الكريم وفق بعض الأساليب العربية الشائعة والقرآن من جنس ما يتكلمون، وأسلوبه جار على أساليب ما يقولون، ومن هنا كان تحديه لهم أتم، وعجزهم عن مجاراته أبلغ. ولذلك كان ابن بحر غير مستوعب لقواعد العربية حينما ادعى أن هذه الزيادة شذوذ و «الأولى ألا يكون في كلام الله شذوذ، وما يستغنى عنه» (٢٣٨).

وهذا الادعاء ذكره ابن بحر حينما تعرض بعض المفسرين للآية القرآنية «لثَلَا تَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ» (٢٣٩)، وقالوا : إن «لا» زائدة، والقائل وإن كان مجهولاً عند صاحب إعراب القرآن... فقد كشف عنه القرطبي حينما تعرض لهذه الآية فقال: إن «لاصلة زائدة مؤكدة» قاله الأخفش.

وقال الفراء : معناه : لأن يعلم و«لا» صلة زائدة في كل كلام دخل

عليه .

قال قتادة : حسد أهل الكتاب المسلمين فنزلت : لثَلَا يعلم أهل الكتاب أى لأن يعلم أهل الكتاب.

وقال مجاهد : قالت اليهود يوشك أن يخرج متأنبىً يقطع الأيدي والأرجل فلما

خرج من العرب كفروا فنزلت : لئلا يعلم» أي ليعلم أهل الكتاب» (٢٤٠) ومع اتفاق أهل اللغة والنحو وقدامى المفسرين أمثال قتادة، وابن مجاهد فإن ابن بحر هذا أنكر هذه الزيادة، واعتبرها شاذة، والشذوذ في كتاب الله سوء أدب، ومحض اقتراء، وكتاب الله منزّه عن هذه الشذوذ ونحن نحمد لابن بحر غيرته على كتابه الله، ولكن لانحمد له إنكاره هذه الزيادة واعتبارها شذوذاً، وقبل أن نرد عليه ناقدين رأيه نحب أن نعرف من هو «ابن بحر هذا» ؟ في هامش إعراب القرآن المنسوب للزجاج الذي حققه الأستاذ الفاضل ابراهيم الأبياري يبيط اللثام عنه فيقول: «هو أبو عثمان بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ، ومن كتبه: «مسائل القرآن» ولعله هو الذي منه النقل هنا». (٢٤١).

وفي رأسي أن ابن بحر هذا أشك أنه أبو عثمان بن بحر الجاحظ لأمرين: الأمر الأول أن الجاحظ ليس جاهلاً بقواعد العربية كما يدعى صاحب إعراب القرآن، فالجاحظ موسوعة في كل ضروب المعرفة السائدة في عصره، وليس من المعقول أن يكون الجاحظ جاهلاً بقواعد العربية، وهو يعلم مكانتها في الأدب، وقدرها في الفكر، إنها الوسيلة الأولى لتحصيل المعرفة.

الأمر الثاني : أن الجاحظ مشهور في كتب التراث، وبين علماء عصره بالجاحظ، وليس بابن بحر.

على أية حالة كانت . إن رد صاحب إعراب القرآن على ابن بحر في ادعائه أن حروف الزيادة في القرآن شذوذ ردّ مفحّم، وقوي، لأنه مؤيد بالحجج مسنود بالبراهين.

قال : «وحمل ابن بحر زيادة «لا» على الشذوذ جهلاً منه بقواعد العربية، وليس كل من يعرف شيئاً من الكلام يجوز له التكلم على قواعد العربية .

وليس كون : «لا» زائدة في فحوى خطاب العرب مما يكون طعناً من الملحدة على كلام الله، لأن كلام الله منزل على لسانهم، فما كان متعارفاً على لسانهم لا يمكن الطعن به على كتاب الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكيف يكون زيادة: «لا» شاذة، وقد جاء ذلك عنهم وشاع كقول  
الهدلي.

أَقَعْنِكَ لَا بَرَقِي كَانَ وَمِيضُهُ غَابَ تَسْمُهُ ضِرَامٌ مُثْقَبٌ (٢٤٢)  
أى أظن ناحيتك أيتها المرأة هذا البرق الذي يشبه ضوءه ضوء غاب.  
وانشد أبو عبيدة للأحوص :

وَتَلْحَيْتَنِي فِي اللَّهِوَأَلَّا أَحِبُّهُ وَلِللَّهُوِدَاعِ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ (٢٤٣)  
أى : أرى اللهو أن أحبه و«لا» زائدة.  
ومنه ما أنشده سيويه لجرير:

مَا بَالُ جَهْلِكَ بَعْدَ الْجِلْمِ وَالذِّينِ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيْبٌ حِيْنَ لَاحِيْنَ (٢٤٤)  
«لا» فيه زائدة، إذا قلت : علاك مشيب حين حين فقد أثبت : «حيناً»  
علاه فيه المشيب، فلو جعلت : «لا» غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدها في  
قولهم : جشت بلامال، وأبئت بلاغنيمة، فنفيت ما أثبت من حيث كان النفي  
بـ«لا» عاقماً منتظماً لجميع الجنس.

فلما لم يستقم حمله على الجنس لتدافع العارض في ذلك حكمت  
بزيادتهما فصار التقدير: حين حين، وهو من باب : حلقة فضة، ونخاتم حديد،  
لأن الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها وعلى الطويل كقوله تعالى :  
«هل أتى على الإنسان حين من الدهر» (٢٤٥) وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله  
تعالى : «تؤتي المكلها كل حين» (٢٤٦) فصار : حين حين كقوله :  
• ولولا يوم يوم ما أردنا • (٢٤٧)

ومنه قول الشماخ :

أَعْسَائِشُ مَسَالِهُلِكَ لِأَرَاهُمْ يُضَيِّعُونَ الْهَيْجَانَ مَعَ الْمُضِيْعِ (٢٤٨)  
وروى التوزي عن أبي عبيدة أن : «لا» زائدة.

ومنه قول المراربيت الكتاب :

وَلَا يَنْطِقُ الْفَحْحِشَاءُ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ إِذَا جَلَسُوا مَنَا وَلَا مِنْ سَوَائِنَا» (٢٤٩)

ثم قال في ختام نقده لابن بحر: «وزيادة الحروف في التنزيل كثير» (٢٥٠).  
وبعد هذه الجولة الفكرية في قضية خطيرة، وهي قضية الزيادة في القرآن  
الكريم وضح لنا أن زيادة الحروف ليست ضرباً من اللغو، ولكنها أسلوب جرى  
على نهجه العرب، ونسج على منواله فصحاءهم وبلغاؤهم.  
هذا بالنسبة للحروف أما بالنسبة للأسماء، فأننى لأعترف مطلقاً بهذه  
الزيادة، لأن الأسماء، ما وضعت إلا لتدل على المعانى، وبالأسماء تتم أجزاء  
الجملة، وأذا ما زيد اسم لا معنى له أدى ذلك إلى تمزيق أوصال الجملة، وتحويلها  
إلى جملة لا تؤدي إلى معنى.

ومن هذه الأسماء «إذ» وهي في معظم أحوالها ظرف جاء لغرض،  
واسم جاء لمعنى فالقول بزيادتها رأى مجحف. وقد عرضنا الآراء النقدية التي  
صوبت سهامها نحو من قال بزيادتها. ونكتفى بهذا القدر من البحث في إذ  
الزائدة، ولعلنا قد أشبعنا القول فيها

وقبل أن ننتهى من بحث إذ الزائدة نحب أن نشير إلى مسألتين تتعلقان  
بـ «إذ» من حيث الاعراب والمعنى، وهما:

أ- جرّ إذ بالإضافة بعد: «بتعد».

ب- دخولها على أداة شرط جازمة.

وستتناول هاتين النقطتين في ضوء المعنى والتركيب.

أما جرّ إذ بالإضافة بعد بعد فإن النحويين يقولون: إن إذ في أغلب  
أحوالها لا تخرج عن الظرفية، فهي من الظروف غير المتصرفة أى اللازمة للظرفية.  
والظروف غير المتصرفة منها «ما لا يخرج عن الظرفية أصلاً مثل قط، وعض،  
تقول: ما فعلته قط، ولا أفعله عض» ومنها: «ما يخرج عنها إلى شبهها وهو الجرّ  
نحو: قبل، وبتعد، ولدن وعند، فيقضى عليهن بعدم التصرف» مع أن حين تدخل  
عليهن إذ لم يخرجن عن الظرفية إلا إلى ما يشبهها، لأن الظرف والجار والمجرور  
سيان في التعلق بالاستقرار، والوقوع خبراً، وصلة، وحالاً، وصفة» (٢٥١).



وإذ من الظروف الملازمة للظرفية، ولكنها تخرج عن الظرفية إلى شبهها  
حينما تجرّب بـ «بعد» .

قال الرضى: «وتلزمها الظرفية إلا أن يضاف إليها زمان كقوله تعالى: «بعد إذ  
تَجَانَا اللَّهُ مِيثًا» (٢٥٢)، وقوله تعالى: بعد إذ أنتم مسلمون» (٢٥٣)، ثم قال:  
«ولم يعمد مجروراً باسم إلا بـ «بعد» (٢٥٤) ومعنى ذلك أن إذ الظرفية ملازمة  
دائماً للظرف، ولكنها تخرج عن الظرفية إذا جرت: بـ «بعد»، ولها في ذلك نظير.  
فـ «قبل» و «بعد» و «لدى» و «عند» ظروف تخرج عن الظرفية إلى شبهها وهو  
الجرّ بحرف: «مِنْ» مثل: «لله الأمر من قبل ومن بعد» (٢٥٥) وأما دخول إذ  
على الشرط، فالنحويون، وعلى رأسهم سيبويه يرون أنه إذا دخلت: «إذ» على  
أداة شرط جازمة امتنع جزم الأداة لأن الجزء في غير موضعه، أو بعبارة أخرى: إن  
«إذ» إذا دخلت على أداة الشرط الجازمة ألغت وظيفة الشرط.

يقول سيبويه: «فمن ذلك قولك: أتذكر إذ من يأتينا نأتيه.. وإنما كرهوا  
الجزء ها هنا، لأنه ليس من مواضعه، ألا ترى أنه لا يحسن أن تقول: أتذكر إذ إن  
تأتينا نأتك، كما لم يجوز أن تقول: إن إن تأتينا نأتك. فلما ضارع هذا الباب باب  
إن و«كان» كرهوا الجزء فيه» (٢٥٦).

وفي ضوء نص سيبويه يتضح لنا أن إذ ألغت عمل أدوات الشرط  
الجازمة حينما دخلت عليها. والسبب في ذلك يشير إليه سيبويه حينما يقول: إنه  
لا يحسن أن تقول: أتذكر إذ إن تأتينا نأتك» لأن إن الشرطية الجازمة تدل على  
المستقبل على حين إذ الظرفية تدل على الماضي، والتقاء الماضي والمستقبل مستحيل  
عقلاً ووجوداً.

من أجل ذلك حينما تدخل إذ تتجرد إن الشرطية من معنى الجزء وإذا  
جردت من معنى الجزء جردت من التأثير في الأفعال التي بعدها، فتبقى كما  
هي، والسبب في ذلك إذ.

وهذا التفسير الذي هديت إليه لنص سيبويه. يؤيده قول سيبويه في  
نفس الموضوع: «وتقول: أتذكر إذ نحن من يأتينا نأتك، فنحن فصلت بين «إذ» و

«من» (٢٥٧)، والفصل بـ «نحن» وقف حائلاً بين الزمنين الماضي المتمثل في  
إذ، والمستقبل المتمثل في «من» الشرطية. ومن أجل ذلك صحّ الجزم بـ «من»  
لوجود الفاصل: «نحن»

وأما إذا دخلت إذ على أداة شرط جازمة في الشعر، فإنه يجوز الجزم على  
الضرورة.

يقول سيويه :

«وقد يجوز في الشعر أن يجازى بعد هذه الحروف، فتقول: أتذكر إذ من  
يأتنا نأته، فإنما أجازوه لأن إذ وهذه الحروف لا تغير ما دخلت عليه عن حاله قبل  
أن تجيء بها، فقالوا: ندخلها على: من يأتنا نأته، ولا نغير الكلام كأننا قلنا، من  
يأتنا نأته، كما أنا إذا قلنا: إذ عبدالله منطلق، فكأننا قلنا: عبدالله منطلق، لأن إذ  
لم تحدث شيئاً لم يكن قبل أن نذكرها» (٢٥٨).

وبهذا النص، وضع سيويه النقاط على الحروف في تفسير جواز الجزم  
بأداة الشرط مع دخول إذ عليها في باب الشعر.

وسبب الجواز أن إذ دخلت بعدما حدث التركيب الشرطي بالأداة فكان إذ لم  
تحدث فيه شيئاً.

ولاشك أن سيويه أحسن بالخرج في هذا الجواز، فأراد أن يفسر جواز  
هذا الأسلوب في الشعر فقط من باب الضرورة، أما في التثرفان هذا الأسلوب  
مرفوض كما قلنا لاختلاط الماضي بالمستقبل مما يسبب اضطراباً في معنى الجملة،  
ولذلك فإن الشرط مع إذ كلا شرط.  
وعلق ابن جنى على قول القائل :

• أتذكر إذ من يأتنا نأته •

فيقول: «فلا يجوز إلا في ضرورة شعر» (٢٥٩)

### ثالثاً : بين إذ الظرفية وإن الشرطية

قد يشير هذا العنوان تساؤلات عديدة :

من هذه التساؤلات : ما العلاقة بين إذ الظرفية، وإن الشرطية؟ وذلك لأن إن الشرطية حرف، وإذ الظرفية اسم: فالرابطة بينهما من حيث الظرفية والحرفية مفقودة.

وتساؤل آخر هو: أ توجد علاقة بين إذ التي تدل على الماضي، وإن التي تدل على المستقبل؟

وتساؤل ثالث: إذا كانت إذ مجردة من «ما» لا تجزم، ولا علاقة بينها وبين إن الجازمة، فالعلاقة من حيث العمل والتأثير بينهما معدومة فلم إذا أوجد التحويون هذه العلاقة بين أداتين بينهما انفصال في العمل، وانفصال في الدلالة، وانفصال في الزمن؟

لهذه التساؤلات السابقة لا يعترف البصريون بوجود علاقة بين إن الشرطية، وإذ الظرفية.

أما الكوفيون فقد أوجدوا بينهما علاقة، فقد قالوا: إن «إن» الشرطية تقع بمعنى إذ.

وهذا القول الكوفي فتح باب قضية احتدم فيها الجدل بين البصريين والكوفيين، وهاتحن نبسط القول فيها:

هل تقع إن الشرطية بمعنى إذ؟

للإجابة عن هذا السؤال نتناول أولاً رأى البصريين والكوفيين، ثم نتناول ثانياً رأى المفسرين:

أولاً: إذ بين البصريين والكوفيين:

قال ابن الأتباري: ذهب الكوفيون : إلى أن (إن) الشرطية تقع بمعنى إذ»

## أدلة الكوفيين :

تلخص أدلة الكوفيين التي ساقها ابن الأنباري بأسلوبنا فيما يأتي :

أ— أدلة قرآنية .

١ — كثير من آيات القرآن الكريم لا تفسر فيها إن إلا على أنها بمعنى إذ ، أو بعبارة أخرى، إن الشرطية في الآيات لا تفسر إلا بمعنى: إذ ، وإلا اختلف المعنى .

— من هذه الآيات : قوله تعالى : «وإن كُنتُمْ في رَيْبٍ ممَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدَنَا» (٢٦٠) أي، وإذ كنتم في رَيْبٍ، لأنَّ إنَّ الشرطية تَفِيدُ الشكَّ ولو بقيت إنُّ تحمل معنى الشكِّ لما كان هناك فائدة في التعبير بها لأنهم كانوا في شكِّ بدليل قوله تعالى: «وإن كنتم في ريب» والرَيْبُ هو الشك، وإن تَفِيدُ الشكَّ، وعلى حد تعبير ابن الأنباري : لاشك أنهم كانوا في شك .

و يوضح الكوفيون رأيهم بأنه لا يجوز أن يقال : «إن قامت القيامة كان كذا» لأن هذا يقتضي الشكَّ في قيامة القيامة، وقيامها محقق لا يحتمل الشك أو الريب .

لذلك كان لابد من أجل صحة المعنى أن تفسر إن بمعنى إذ لأنك إذا قلت : إذ قامت القيامة كان كذا، كان الأسلوب جائزاً لأن إذ لا تحمل معنى الشك .

ومن هذه الآيات : قوله تعالى : «يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بَقِيَ من الرِّبَا إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم» (٢٦١)، لأنه لاشك في كونهم مؤمنين، والدليل على ذلك مخاطبتهم في صدر الآية بالإيمان فقال : «يأيتها الذين آمنوا، فكيف يناديهم بالإيمان ثم تظل إن تحمل معنى الشك في إيمانهم ؟ إنه التناقض، ولذلك قالوا : إن «إن» بمعنى: إذ .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : «واتَّقُوا اللَّهَ إن كنتم مؤمنين» (٢٦٢) فإذا كانت إن بمعناها، فكيف يتقون الله، وإيمانهم مشكوك فيه ؟  
ومن هذه الآيات قوله تعالى : «وانتُمْ الْأَعْلَوْنَ إن كنتم مؤمنين» (٢٦٣)  
فكيف يكونون في علو على أعدائهم، وفي إيمان الشك والريب ؟

ومن هذه الآيات قوله تعالى : «لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» (٢٦٤)، فكيف يؤكد دخولهم المسجد الحرام ثم يشك في هذا الدخول بالتعبير إن شاء الله .

فـ «إن» في هذه الآيات لا تحمل معنى الشك، وليس فيها معنى الجزاء وإنما هي بمعنى إذ الظرفية، وإذ الظرفية ليس فيها معنى الشك .

ب — دليل من الحديث الشريف :

جاء في الحديث عن الرسول عليه السلام حين دخل المقابر قال : «سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فـ «إن» في هذا الحديث بمعنى : إذ لأنه لا يجوز الشك في اللّحوق بهم .

ج — دليل من الشواهد الشعرية :

قال الشاعر :

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعتك غير ذي وقر  
ووجه الاستشهاد بهذا البيت، وضحه المرحوم الشيخ محمد محي الدين بالنص الآتي : «ومحل الاستشهاد في هذا البيت هنا قوله : «

• إن كان سمعتك غير ذي وقر •

فإن الكوفيين زعموا أن (إن) هاهنا بمعنى إذ ، والكلام تعليل لقوله : «سمعت حلفتها»، فإن المراد عندهم : سمعت حلفتها لأن سمعتك سليم غير ذي وقر .

والذي دعاهم إلى هذا أن الأصل في الشرط أن يكون مستقبلاً، لأن القصد تعليل الجواب عليه، وتعليل الشيء لا يكون على شيء مضي، لأنه حينئذ لا فائدة في تعليل وجود الجواب عليه، وإنما يكون التعليل فيما يأتي من الزمان، فلما وجدوا (إن) تدخل على الفعل الماضي قالوا: إنه لا يراد بها التعليل حينئذ، وإنما يراد بها التعليل» (٢٦٥).

## أدلة البصريين :

لم يقدم البصريون في منعمهم وقوع إن الشرطية بمعنى: إذ غير دليل واحد، وهو الوضع الأصلي لـ «إن» أن تكون شرطاً. قال ابن الأنباري موضحاً رأيهم بما نصه:

«وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: أجمعنا على أن الأصل في «إن» أن تكون شرطاً، والأصل في إذ أن تكون ظرفاً، والأصل في كل حرف أن يكون دالاً على ما وضع له في الأصل، فمن تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال، ومن عدل عن الأصل بقى مرتين بإقامة الدليل» (٢٦٦).

نقد البصريين لأدلة الكوفيين:

وصوب البصريون أدلة نقدهم نحو أدلة الكوفيين. ونترك ابن الأنباري بأسلوبه الواضح الذي لا غموض فيه يعرض لنا أدلة نقدهم:

قال: أما احتجاجهم بقوله تعالى: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا» فلا حجة لهم فيه، لأن «إن» فيه شرطية.

وقولهم: إن «إن» الشرطية تفيد معنى الشك، قلنا: وقد تستعملها العرب، وإن لم يكن هناك شك، جرياً على عاداتهم في إخراج كلامهم مخرج الشك، وإن لم يكن هناك شك.. ومنه قولهم: «إن كنت إنساناً فأنت تفعل كذا، وإن كنت ابني فأطعني» وإن كان لا يشك في أنه إنسان، وأنه ابنه، ومعناه: أن من كان إنساناً أو ابناً فهذا حكمه، فخاطبهم الله تعالى على عادة خطابهم فيما بينهم» وهذا هو الجواب عن جميع ما استشهدوا به من الآيات.

ووقف البصريون حائرين أمام آية واحدة من الآيات التي استدل بها الكوفيون، وهي آية: «لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» فإن إخراج الكلام هنا مخرج الشك. وإن لم يكن هناك شك لا يتلاءم مع المعنى المراد في الآية الكريمة. ومع ذلك فقد حاولوا أن يخرجوا من هذه الحيرة التي وقعوا فيها فأجابوا عن هذه الآية من وجهين: بينهما ابن الأنباري فقال:

أحدهما : أن يكون الاستثناء وقع على دخولهم آمنين، والتقدير فيه :  
لتدخلن المسجد الحرام آمنين إن شاء الله».

وليوقف القارئ على سر هذه الإجابة لا بُدَّ من توضيحها ليقف على  
جلية أمرها.

إجابة البصريين تعنى : أنّ دخول المسجد الحرام مؤكّد لا شك فيه وتأكيد باللام  
والتون محقق لا بد من وقوعه، أما مشيئة الله فإنها لا تتعلق بالدخول، ولكنها تتعلق  
بالأمن وقت الدخول.. إنهم يدخلون، ولكن الأمن حالة الدخول متعلق بمشيئة الله.  
قال ابن الأنباري :

والوجه الثاني : أن يكون ذلك على طريق التأديب للعباد ليتأدبوا بذلك  
كما قال تعالى: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله» (٢٦٧).

والوجه الثاني هو بعينه إجابة عن إشكال الحديث الشريف: «لأنه لما  
أدبه الحقّ بقوله تعالى: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله  
تمسك بالأدب، وأحال على المشيئة فقال: «وإننا إن شاء الله بكم لاحقون».

وأجاب البصريون عن الشاهد الشعري بقولهم: إن «إن فيه حرف شرط  
لا بمعنى إذ، واستغنى بما تقدم من قوله: «وسمعت» عن جواب الشرط لدلالته  
عليه على ما بيننا» (٢٦٨).

### رأى الامام الرضى :

لم تمر قضية الخلاف بين البصريين والكوفيين من غير تعليق من النحاة  
المتأخرين فقد كان للإمام الرضى رأى في هذه المشكلة، كما كان لابن هشام  
رأى آخر:

ولنتناول الآن رأى الامام الرضى فماذا يقول؟: «وعند الكوفيين يجيء  
إن بمعنى إذ، قالوا في قوله تعالى: «وإن كنتم في ريب» إنها بمعنى: إذ، لأن إن  
مفيدة للشك — تعالى الله عنه.

والجواب : أن «إن» ليست للشك، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها، لا للشك. ولو سلمنا ذلك أيضاً، قلنا: إنه تعالى يستعمل الكلمات استعمال المخلوقين، وإن كان يستحيل مدلولها في حقه تعالى لضرب من التأويل كقوله تعالى: «ليبلوكم» (٢٦٩) لما كان التكليف من حيث التخيير في صورة الابتلاء.

وقال : «لعلكم تتقون» (٢٧٠) لما كانوا في صورة من يرتجى منهم ذلك. وقال : «يُضَلَّ من يشاء» أي يترك الإلطاف لمن يعلم أنه لا ينفعه ذلك، فكذا قال تعالى: «إن كنتم مؤمنين» (٢٧١)، «وإن كنتم في ريب» (٢٧٢).

### رأى ابن هشام :

أما رأى ابن هشام فإنه تردد لرأي الجمهور، وذلك حيث يقول : «أجاب الجمهور عن قوله تعالى : «إن كنتم مؤمنين» بأنه شرط جييء به للتهيج والإلهاب، كما تقول لابنك: إن كنت ابني فلا تفعل كذا وعن آية المشية، وهي قوله تعالى : لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام — إن شاء الله — بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذ أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط، ثم صار يذكر للتبرك، أو أن المعنى لتدخلن جميعاً — إن شاء الله — ألا يموت منكم أحد قبل الدخول. أو أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أخبرهم بالمنام، فحكى لنا ذلك، أو من كلام الملك الذي أخبره في المنام» (٢٧٣).

### رأى ومناقشة :

إذا سلطنا الضوء على رأى الامام الرضى نجد أنه بالغ في التقدير وأغرق في التأويل . وأما رأى ابن هشام فإنه ردد فيه رأى الجمهور، ولا يحمل بين طياته جديداً.

ورأى الرضى لنا وقفة معه، وبخاصة عندما يقول: إن «إن ليست للشك



بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها، وعدم وقوعها» في رأيي أن عدم القطع في الأشياء هو الشك بعينه مهما اختلفت العبارة واختلفت الألفاظ — فلم يأت بجديد حينما قال هذا القول الذي لا يختلف عن معنى الشك، وإن اختلفت الألفاظ.

وإذا رجعنا إلى تعريفات الشك وجدنا السند والدليل لما نقول. لننظر ماذا يقول ابن السيد عن الشك في كتابه «التعريفات»؟ يقول: «الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك.

وقيل: الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشين لايميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين» (٢٧٤).

ففي تعريف الشك عند ابن السيد نلاحظ أنه لا فرق في معنى الشك بين مقاله الرضى، ومقاله ابن السيد في تعريف الشك، وإن اختلف الأسلوب، واختلفت الألفاظ.

في رأيي أن الرضى جانبه التوفيق حينما ركب هذا المركب الصعب في التأويل والتقدير.

### رأى المفسرين:

هذه القضية التي أثارت الجدل بين البصريين والكوفيين ومن تبعهم من النحويين المتأخرين تعرض لها المفسرون، وكان لهم فيها رأي، وسأحاول في إيجاز عرض هذه الآراء لنقف على حقيقة القضية في ضوء التفسير القرآني.

### رأى الطبرى:

في قوله تعالى: «أَقْتَضِرْ عَنكُم الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» (٢٧٥) ذكر الطبرى أن القراء اختلفت في قراءة ذلك «فقرأته عامة قراة

المدينة والكوفة: «إن كنتم» بكسر الألف [أى الهمزة] من «إن» بمعنى:  
أفئضرب عنكم الذكر صفحاً إذ كنتم قوماً مسرفين.  
وقراء بعض قراء أهل مكة والكوفة، وعامة قراء البصرة (أن) بفتح الألف من  
«أن» بمعنى: لأن كنتم».

ثم قال الطبري معللاً لهاتين القراءتين، قراءة كسر همزة إن، وقراءة فتح  
همزتها: «واختلفت أهل العربية في وجه فتح الألف من «أن» في هذا الموضع،  
فقال بعض نحويي البصرة: فتحت، لأن معنى الكلام، لأن كنتم.

وقال بعض نحويي الكوفة: من فتحها، فكأنه أراد شيئاً ماضياً، فقال  
وأنت تقول في الكلام: أتيت أن حرمتني، تريد: إذ حرمتني، و يكسر إذا أردت:  
أتيت إن حرمتني... قال والعرب تنشد:

أتمجزع أن أدنسا فثيبه حُرْتَا جهاراً ولم تجزع لقتل ابن خازم  
قال: وينشد:

أتمجزع أن بسان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع (٢٧٧)  
قال: وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع  
قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ  
فمصيب، وذلك أن العرب إذا تقدم إن — هي بمعنى الجزاء — فعمل مستقبل  
كسروا ألفها أحياناً، فمحضوا لها الجزاء فقالوا: أقوم إن قمت، وفتحوها أحياناً  
وهم ينوون ذلك المعنى فقالوا: أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت.

فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضياً لم يتكلموا إلا بفتح الألف من «أن»،  
فقالوا: قمت أن قمت، وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء «(٢٧٧).

ذلك هو نص الطبري في قضيتي إن، و«إذ»، وقد وضع بما لا يدع مجالاً

للسك أن كسر همزة «إن» التي قرأها أهل المدينة وأهل الكوفة على تقدير أن «إن» بمعنى: «إذ».

وقرأ بعض أهل مكة والكوفة بفتح همزة أن على تقدير: «لأن» بفتح الهمزة، وتقدير اللام الجارة قبل «أن» ومثل الطبري للقراءتين مثال نحوي وهو: أتيت إن حرمتي. تفتح أن في هذا المثال إذا أريد المضي، وحينئذ يكون هناك حرف محذوف وهو اللام الدال على التعليل، وكأن «أن» مع اللام بمعنى: إذ التعليلية، وهذا هو المفهوم من عبارة الطبري: «تريد: إذ حرمتي لأن التعليل في نظري ليس من «أن» فهي ليست حرف تعليل، وليس هناك أيضاً علاقة بين «أن» مفتوحة الهمزة و«إذ» التعليلية. أما إذا أردنا الشرط والجزاء، فإن «أن» تكسر إذا أردنا معنى: أتيت إن تحرمي.

على أن الطبري كان دقيقاً حينما بين أن الجزاء بـ «إن» ليس لازماً في كل حال، وهذا مستفاد من قوله: «إذا تقدم إن — هي بمعنى الجزاء — فعل مستقبل كسروا ألفها أحياناً، فقالوا: أقوم إن قمت» ومعنى هذا أن علة كسر إن في الآية القرآنية، «أفضرِبْ عنكم الذكر صفحاً» هي نفس علة كسرة إن في قولهم: أقوم إن قمت، فالآية تشمل فعلاً مستقبلاً: «نضرب» قبل (إن) التي يليها ماض وهو: «كنتم». وليس هذا الكسر لازماً، أو ضرورة لأبد منها في جميع الأساليب.

لذي نرى الطبري «في المثال النحوي أقوم أن قمت، يقول بجواز فتح همزة (إن) أحياناً إذا أردنا التأويل على معنى: لأن قمت مع نية الجزاء.

ومن نص الطبري أيضاً نجد أن رأى الكوفيين في كسرة همزة «إن» في الآية الكريمة ليس فيه تأويل ولا تقدير لأن «إن» فيه بمعنى: إذ» ويؤيد الكوفيين في رأيهم أن (إن) بمعنى: إذ قراءة «زيد بن علي» «إذ كنتم» بذال مكان النون» (٢٧٨).

على أن البيت الأول الذي استشهد به الطبري أثار جدلاً نحوياً بين النحويين بالنسبة لفتح همزة إن في البيت أو كسرها.

والبيت لشاعر معروف، وهو الفرزدق.

استشهد به الرضى في الكافية «على أنه قد يستعمل الماضي في الشرط متحقق الوقوع، وإن كان بغير لفظ كان، لكنه قليل» و بين البغدادي في الخزانة أن فعل الشرط «محذوف مفسر بالفعل المذكور، والتقدير: إن حزت أذنا قتيبة، فحز أذنيه قد وقع فيما مضى من الزمان وتحقق معناه» (٢٧٩).

رأى سيبويه :

ولسيبويه في قضية فتح وكسر همزة إن في هذا البيت رأى نذكره بنصه، ثم نعلق عليه موضحين غموضه، إن كان هناك غموض .

يقول سيبويه :

و«سألت الخليل عن قول الفرزدق:

أنفضب إن أذنا قتيبة حرتنا جهاراً ولم تنفضب لقتل ابن خازم  
فقال : لأنه قبيح أن تفصل بين «إن» والفعل، كما قبح أن تفصل بين كى  
والفعل، فلما قبح ذلك ولم يجر حل على «إن» لأنه قد يقدم فيها الأسماء قبل  
الأفعال» (٢٨٠).

من إجابة الخليل يتبين لنا أن «إن» في البيت لا يصح فتح همزتها، لأنه يقبح أن يلي أن المفتوحة همزة اسم يفصل بينها وبين الفعل كما يقبح أن يفصل بين كى والفعل فاصل سواء كان الفاصل اسماً مثل إذا كر لكى التحوا تعلم، حتى ولو كان الفاصل حرفاً فقد ضعفوا قول الشاعر. جميل بن معمر حينما قال :

فقال أكل الناس أضححت مانحاً لسانك كيما أن تغر وتخدعا (٢٨١)  
ومن أجل هذا، أو بعبارة أخرى، من أجل إزالة هذا القبح تكسر همزة «إن» على أن تكون أداة شرط، وهذه يجوز دخولها على الأسماء بشرط أن يكون بعدها فعل مفسر للفعل المقدر أو المحذوف قبل الاسم الداخلة عليه، ومثاله قوله تعالى: «وإن أحد من المشركين استجارك»، (٢٨٢) والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين استجارك.

وعلى هذا يُقدّر في البيت فعل محذوف يدلّ عليه الفعل المذكور، و يكون التقدير: أتغضب إن حزت أذنا قتيبة حزّناً.

### رأى المبرد :

ويرى المبرد: أن كسر همزة إن لا يجوز في بيت الفرزدق. لأن «قتل قتيبة قد مضى، وإنّ للجزء، والجزء يكون لما يأتي، فلا يستقيم أن تقول: إن قُمتُ قمتُ، وقد مضى قيامه.»

والذي يراه المبرد كما نقله ابن السّيد عنه، وسجله البغدادي في الحسزانة هو «فتح (أن) في هذا البيت، وجعلها «أن» المخففة من الثقيلة وأضمر اسمها، كأنه قال: أنه أذنا قتيبة حزّناً» (٢٨٣).

### رأى ابن السّيد :

ويرى ابن السّيد رأى سيبويه، وهو كسر همزة إن في البيت و يوجّه رأيه فيقول: «إنه وضع السبب موضع المسبب، كأنه قال: أتغضب إن افتخر مفتخر بحرأذني قتيبة كما قال الآخر

إن يُقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً عليك ورُبّ قتلٍ عار(٢٨٤) المعنى إن افتخروا بقتلك، فذكر القتل الذي هو سبب ذلك» (٢٨٥)

### رأى ابن هشام :

ويرى ابن هشام رأى سيبويه أيضاً في كسر همزة «إن»، و يوجه كسر الهمزة بوجهين: أحدهما: ذكره ابن السّيد كما بيناه سابقاً وثانيهما رأى انفرد به ابن هشام.

يقول ابن هشام موجهاً لكسرة همزة إن، ومبيناً أن الكسر على وجهين: «أحدهما: أن يكون على إقامة المسبب مقام السبب، والأصل: أتغضب إن افتخر مفتخر بسبب حرأذني قتيبة، إذ الافتخار بذلك يكون سبباً للغضب، ومُسبباً عن الحزن.

الثانى : أن يكون على معنى : التبين، أى أتغضب إن تبين في المستقبل أن أذننى قتيبة حزتا فيما مضى»

والذى يستدعى الدهشة أن ابن هشام نسب للخليل رأيا يختلف عن نقل سيويه عنه، فقد قال ابن هشام: «وقال الخليل والمبرد: الصواب أن «أذنا» بفتح الهمزة من «إن» أى لأن أذنا. ثم هى عند الخليل أن الناصبة.. إلى أن يقول: ويرد قول الخليل أن الناصبة لا يليها الاسم على إضمار الفعل، وإنما ذلك لـ «إن» المكسورة» (٢٨٦).

ومن غير شك أن هذا تجنّب من ابن هشام لأنه نسب للخليل ما لم يقل واتهمه برأى لم يصدر عنه، ولا أدرى من أين أتى برأى الخليل هذا؟  
ليس هناك كتاب يضم آراء الخليل غير كتاب سيويه، وكتاب سيويه نصّ كما ذكرنا على رأى الخليل الذى يقبح فتح أن في البيت.  
وقد أشار إلى هذا النقد أيضاً البغدادي في الخزائن (٢٨٧).

### رأى الكوفيين :

ويرى الكوفيون أن «إن» في البيت ليست للشرط لمضيه، وإنما هى بمعنى إذ» (٢٨٨).

### (ب) رأى الفخر الرازى :

يرى الفخر الرازى في تفسيره الكبير أن قراءة «نافع، وحزة، والكسائي: إن كنتم بكسر الألف، تقديره: إن كنتم مسرفين لانضرب عنكم الذكر صفحاً. وقيل : «إن» بمعنى: إذ كقوله تعالى : «وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين» (٢٨٩).

وبالجملة فالجزاء مقدم على الشرط .

وقرأ السباقون بفتح الألف على التعليل، «أى لأن كنتم مسرفين» (٢٩٠).

### ج - رأى القرطبي :

قال : « قيل الذكر: التذكُّر، فكأنه قال: أتترك تذكيركم لأن كنتم قوماً مسرفين في قراة من فتح.

ومن كسر جعلها للشرط، وما قبلها جواباً لها، لأنها لم تعلم في اللفظ ونظيره: «وذروا ما بَسَقِي من الرِّبَا إن كنتم مؤمنين»

وقيل: الجواب محذوف دلّ عليه ما تقدّم كما تقول: أنت ظالم إن فعلت :

ومعنى الكسر عند الزّجّاج الحال، لأنّ في الكلام معنى التقرير والتوبيخ» (٢٩١).

### د - رأى الطبرسي :

قال : «قرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم : «إن كنتم» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها.

قال أبو عليّ : «من قال : «إن كنتم» فالمعنى : «لأن كنتم.. فالمعنى : أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم، والعقوبة لكم لأن كنتم قوماً مُسرفين.

وهذا يقرب من قوله : «أبحسب الانسان أن يُترك سُدى» (٢٩٢). والكسر على أنه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه مثل : أنت ظالم إن فعلت كذا، كأنه قال : إن كنتم مسرفين نضرب» (٢٩٣).

وبعد هذه الجولة في آراء المفسرين نستطيع أن نقول : كانت كلها تدور حول فلك واحد هو فلك الطبرسي، فهو إمامهم، وكلهم شرب من معينه وارتوى من نبعه، فأراؤهم معظمها مستقاة من رأيه وقبسات من فكره. وبقى لي بعده هذه المعركة الفكرية بين علماء اللغة والنحو والتفسير في هذه القضية رأى خاص، أتناوله فيما يلي :

## رأى في هذه القضية :

الواقع أن سبب المعركة النحوية بين البصريين والكوفيين قائم على أساس أن البصريين لهم منهج صارم في قضايا النحو، فـ «إن» الشرطية عندهم تحمل معنى الشك، لأن الجزاء مترتب على الشرط، فإذا ما تحقق الشرط تحقق الجزاء، وتحقق الشرط أمر مشكوك فيه، فإذا قلنا: إن تذاكرت نجح، فإن المذاكرة بدخول إن عليها ليس تحققها واقعاً لكنه قد يقع، فبدخول إن احتمال الأمر حدوث الشرط، واحتمل عدم حدوثه.

ومن أجل هذا، إذا عرضت آيات قرآنية تحمل تركيب الشرط بـ «إن» ولا تحمل في الوقت ذاته معنى الشرط، لأن في تقدير معنى الشرط إخلالاً بقضايا أخرى تمس العقيدة، وتمس المعنى الذي لا يراد في مجال القرآن الكريم كما بينا سابقاً في الآيات التي عرضها الكوفيون، ولا تحمل معنى الشرط والجزاء.

ومع صرامة منهج البصريين نجد أنهم ليحافظوا على أصولهم، و يصونوا منهج مذهبهم يلجئون إلى التأويل والتقدير.

وفي رأبي أن منهج الكوفيين مجرد من التعقيد، نحال من التأويل، سليم من التقديرات، فما المانع أن تكون إن بمعنى إذ؟ وهذا أمر معترف به في أساليب اللغة العربية، فالحروف تحمل معنى الحروف، والأفعال أيضاً تحمل معنى الأفعال، وهذا باب واسع، فتحة على مصراعيه ابن جني في كتابه الخصائص. وهو باب التضمن.

على أن البصريين التزموا منهج الحرفية حينما قالوا: إن الأصل في إن تكون للشرط، ومن تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال» .

أى أصل هذا الذي يستمسك به البصريون؟ إن أساليب القول تختلف وتباين بحسب اختلاف المواقف، وتباين الأحوال، فلكل موقف أسلوب، ولكل حالة تركيب

ولوئذينا أعناق البصريين نحو البلاغة، ومواقفها، وأحوالها، ومقاماتها



لعرفوا أنهم، ما كان يجب ان يستمسكوا بهذه القوانين الصارمة، فليست الأساليب العربية قوالب جامدة، تصب فيها الكلمات، وتوضع على غرارها الأساليب، لأن الأساليب العربية كما قلت مرتبطة بالموقف، مرتبطة بالهدف، مرتبطة بالمقام، ولكل مقام مقال.

لننظر ماذا يقول علماء البلاغة في إن الشرطية هذه التي حيرت اللغويين والتحويين والمفسرين على حد سواء. ؟  
تناول الخطيب القزويني في كتابه «الايضاح» قضية إن التي يقول البصريون عنها إنها للشرط، والشرط شك، فقال:

«وقد تستعمل «إن» في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه، وكعدم جزم المخاطب كقولك:  
لِيَمُنَّ يُكذِّبُكَ فِيمَا تُخَبِّرُ: إن صدقت فقل ماذا تفعل .

وكتنزيهه منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم، كما تقول: لمن يؤدي أباه: إن كان أباك فلا تؤذه.

وكالتوبيخ على الشرط، وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصح إلا يفرضه كما يفرض المحال لغرض كقوله تعالى «أَقْتَضِرْ عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» فيمن قرأ إن بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الإسراف، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء، حقيقى ألا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض.  
وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به.

وقوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها من أصلها.  
ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم، فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً .

وكذلك قوله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ» (٢٩٤)

والتغليب باب واسع يجرى في فنون كثيرة كقوله تعالى: «ولنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنَّ في ملتنا» (٢٩٥) أدخل شعيب عليه السلام في: «لتعودنَّ في ملتنا» بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أضلاً .

ومثله قوله تعالى: «إنَّ عُدنَا في مِلَّتِكُمْ» (٢٩٦)، وكقوله تعالى: «وكانت من القانتين» (٢٩٧).

عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب ..

وكقوله تعالى: «فسجدوا إلا إيليس» (٢٩٨) عدَّ إيليس من الملائكة بحكم التغليب ..

ومضى الخطيب الفزويني في علاج هذه القضية على هدى من النوق البلاغى والجمال الفنى، والتركيب الأدبى، فيقول معاًلاً خروج إن من الشك الذي يفرضه عليها البصريون لاعتبارات بلاغية كـ (إيران) «غير الحاصل في صورة الحاصل، إنا لقوة الأسباب المتأخية في وقوعه كقولك:

إن اشترينا كذا حال انعقاد الأسباب في ذلك»

وإما لأن ما هو لموقع كالواقع كقولك: إن مت كان كذا وكذا كما سبق.

وإما للتفاؤل، وإما لإظهار الرغبة في وقوعه، نحو: إن ظفرت بحسن العافية فهو المرام، فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوُّره إياه، فربما يخيل إليه حاصلاً وعليه قوله تعالى: «ولا تكرر هوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً» (٢٩٩).

وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حُكم الحس بخلاف حكمه غلظة تارة، واستخرج له مَحْمَلاً أُخْرَى، وعليه قوله أبى العلاء المعرى.

ما سرت الآ وطيفت منك يضحيتي سرى أمامسى وتاويباً على أنسرى  
يقول: لكثرة ماناجيت نفسى بك انتقشت في خيالى، فاعذك بين يدي

مُغْلَقاً لِلْبَصْرِ بَعْلَةُ الظَّلَامِ إِذَا لَمْ يَدْرِكْ لَيْلاً أَمَامِي، وَأَعْتَدْتُكَ تَخْلَفِي... إِذَا لَمْ يَتَبَسَّرْ  
لِي تَغْلِيظُهُ حِينَ لَا يُدْرِكُكَ بَيْنَ يَدَيَّ نَهَاراً» (٣٠٠).

أعتقد أنه بهذا التحليل الرائع استطاع الخطيب القزويني أن يضع  
النقاط على الحروف في هذه القضية. لنتقل بعد ذلك إلى القاء الضوء على إذ  
حينما تدخل عليها «ما» فتصبح حرفاً له وظيفة نعرضها في النقطة التالية

#### رابعاً : إذ الحرفية :

القسم الثالث من أقسام «إذ» أن تكون حرفية وذلك بإضافة «ما»  
إليها لتحوّل بهذه الإضافة إلى صيغة جديدة، إلى أداة شرط يجزم الفعل المضارع.  
يقرّر ذلك سيبويه في كتابه، حيث يقول: «ولا يكون الجزاء في حيث  
ولاني «إذ» حتى يضم إلى كل واحد منهما «ما» فتصير إذ مع «ما» بمنزلة :  
«إنما» و «كأنما»، وليت «ما» فيهما بلفظ، ولكن كل واحد منهما مع «ما»  
بمنزلة حرف واحد» (٣٠١).

ويستشهد سيبويه لـ «إذما» الجازمة التي تغيرت وظيفتها بدخول  
«ما» عليها، فصارت للشرط والجزاء بشاهدين :  
أحدهما : لعباس بن مرداس حيث يقول :

إذما أتيت على الرسول فقل له حقاً عليك إذا اطمأن المجلس (٣٠٢)  
وثانيهما : لعبدالله بن همام السلومي حيث يقول :

إذما ترينى اليوم منزجى ظعيتى أصعد سيراً في البلاد وأفرغ (٣٠٣)  
فأتى من قوم سواكم وأتسما رجالي فهم بالحجاز وأشجع  
قال سيبويه معلقاً: سمعناهما يمين يرويهما عن العرب، والمعنى: «وإمّا» (٣٠٤)  
كان سيبويه دقيقاً كل الدقة في تعبيره حينما ذكر أن «إذ» مع «ما» تصير  
بمنزلة: «إنما»، و «كأنما». وهو من دون شك يعني تغيير الوظيفة اللغوية لـ «إذ»  
بعد دخول «ما» عليها وهو أمر ليس ليس بيدع في طبيعة الوظائف اللغوية

للأدوات الأسلوبية، فـ «إن» مثلاً تنصب المبتدأ وترفع الخبر، ويستحيل في هذه الحالة دخولها على الجملة الفعلية، وكذلك: كأن، فإذا ما لحقتهما «ما» تغيرت الوظيفة، وكفاً: إن، وكأن عن العمل، وصارت لهما وظيفة جديدة، وهي الدخول على الجمل الفعلية كقوله تعالى: «فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» (٣٠٥)، وكقوله تعالى: «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» (٣٠٦)

### رأى سيبويه في الجزم بـ «إذما» بين السيراني والرضي:

يخالف السيراني سيبويه في أن إذما «جازمة، فـ «إذما» عند السيراني ليست من أدوات الشرط، وليس لها قوة الشرط والجزاء كأدوات الأخرى. وينص على هذه المخالفة صراحة فيقول: «ما علمت أحداً من النحاة ذكر (إذما) غير سيبويه، وأصحابه» (٣٠٧).

ويكشف الرضي الغطاء عن رأي سيبويه عللاً له، ومبيناً مقاصده حيث وضح أن الجزم لـ «إذما» في رأي سيبويه ليس بسبب دخول «ما»، لأن «ما» قد تدخل على «إذا»، وفيها معنى الشرط ومع ذلك لم تحولها إلى أداة جزم، فكيف بـ «إذ» التي ليس فيها معنى الشرط، وهي للماضي على حين إذا للمستقبل، والمستقبل ملازم للشرط.؟

يقول الرضي: «وأما إذما فهو عند سيبويه حرف كـ «إن» ولعله نظر إلى أن لفظة «ما» تدخل على إذا مع أن فيه معنى الشرط، وهي للمستقبل — وإن دخلت على الماضي كـ «إن»، ولا تصير جازمة معها، فكيف بـ «إذ» الخالية من معنى الشرط الموضوع للماضي، فـ «إذما» عنده غير مركبة» (٣٠٨) فالرضي في هذا التص يؤكد أن «إذما» بعد دخول «ما» عليها صارت كلمة واحدة، وليست مركبة من كلمتين، ولهذا صارت كـ «إن» الشرطية، فتأخذ حكمها، وتؤدي مؤداها.

وقد وضح الهروي في «اللزمية» رأي سيبويه أيضاً حينما قال: بصد تعداد وجوه «ما»:

والوجه الحادي عشر تكون «ما» مُسَلَّطَةً للعامل على الجزاء كقولك: إذ

تَخْرُجُ أَخْرُجُ» وكيف ماتصنَعُ أَصْنَعُ، وحينما تَكُنْ أَكُنْ، سَلَطْتُ «ما»: إذ، وكيف، وحيث على الجزاء، ولولا «ما» لم يجز أن يجازى بـ «إذ»، وكيف، وحيث... إلى أن يقول:

«وإذما، مع «ما» إذا جوزى بها حرف، وليست باسم، وهما جميعاً حرف واحد للمجازاة، وليست «ما» زائدة فيها كزيادتها في سائر حروف الجزاء» (٣٠٩).

والمعجب كل العجب أن نجد بعض النحاة يطلقون الرأي من دون أن يكلّفوا أنفسهم التدبّر فيما يرون، والتفكر فيما يذهبون إليه. عجبت لبعض النحاة يعلق على بيت سيويه الذي جزمت فيه «إذما» كأداة من أدوات الشرط مُدْعِياً أَنَّ «إذماً» لا تجزم كما يدعى سيويه، فيقول كما نقل الرضى: «وقال بعض النحاة: أصله: «إمأ» وهو لا يجيء إلا بنون التوكيد بعده، كقوله تعالى: «فإمأ ترين» (٣١٠)، فلما كان ينكسر البيت — أعنى بيت عبد الله بن همام السلوسي الذي سبق ذكره — بالتون غير صورة «إمأ» بقلب الميم الأولى ذالاً» (٣١١).

كأن التفسير اللغوي للظواهر اللغوية يأتي هكذا اعتباراً من غير تفكير وروية فليست هنا علاقة قلبية بين الذال والميم، وليست هناك ظواهر لغوية تقلب فيها الميم ذالاً

من الممكن أن تقلب الشاء ذالاً، فتقول: جثا على ركبتيه، وجذا، ويجثوا جثوا، ويجذو جذوا» (٣١٢).

ذلك لأن الشاء والذال حرفان لثويان، فالقراءة بينهما واضحة. ومن الممكن أن تقلب الميم لاماً أو نوناً فتقول: «انجبرت يده على عشم وعثل» (٣١٣)، وذلك لأن الميم شفوية، واللام ذلّية فتباعدتا في المخرج، وتقاربتا بالجهر. وكذلك تقول: «تكهّم، وتكهن، أى تهزأ به» (٣١٤).

على أن الردّ القوي على بعض هؤلاء النحاة متمثل في قول الرضى:  
«ولا يتم له هذا في قوله: إذ ما دخلت» (٣١٥).

ويقصد الرضى برده أن هذا التقدير بقلب الميم ذالاً في البيت السابق  
«إذ ما دخلت على الرسول» الخ لا يتم له، ولا يمكن أن ينطبق عليه، وذلك لأن  
إمّا كما يقول هؤلاء البعض لا تأتي إلا بنون التوكيد معها، «وإذما» في البيت  
متلوة بالفعل الماضي: «دخلت»، ولا يدخل نون التوكيد في الماضي.

على أن القول الذي يستحق أن نقف عنده وقفة قصيرة هو قول السيرافي  
السابق: «ما علمت أحداً من النحويين ذكر «إذما» غير سيبويه وأصحابه» وهو  
قول مبالغ فيه، لأن معظم النحويين الذين سبقوه ذكروا لـ «إذما» هذا الحكم  
الذي قرره سيبويه.

وها هو ذا المبرد يعترف بهذا الحكم، ويسلم بهذه القضية مع أن المبرد  
كان مولعاً بالردّ على سيبويه في مسائل معروفة لا يتسع البحث للتعرض لها.

يقول المبرد معللاً لجزم «إذما» بعد دخول «ما» عليها: «ولا يكون  
الجزء في إذ، ولا في حيث بغير «ما» لأنهما ظرفان يضافان إلى الأفعال، وإذا  
زيدت على كل واحد منهما «ما» مُنعتاً الإضافة فعملتا» (٣١٦).

إنّ الخلاف بين سيبويه والمبرد في قضية الجزم بـ «إذما» ليس هو الجزم،  
وإنما في معنى إذ ما بعد دخول «ما» عليها، هل هي حرف أو اسم؟.

سيبويه يرى أنها حرف كـ «إن» كما قلنا، والمبرد يرى أنها اسم باق على  
اسميته حتى بعد دخول «ما» عليه.

قال المبرد: «إذما باقية على اسميتها، و«ما» كافة لها عن طلب الإضافة، مهية  
للشروط والجزم كما في حيث، فإنها صارت بـ «ما» بمعنى المستقبل،  
وجازمة» (٣١٧).

ولعل المبرد ينظر إلى أن «الأصل بقاء الكلمة على الإسمية التي كانت  
عليها، وعدم تغييرها إلى الحرفية بدخول كلمة أخرى» (٣١٨).

وأما قياس «إذما» على «إذاما» حيث يدعى بعض النحويين أن «إذا» كانت «إذا» وهي شرطية، ودالة على المستقبل، وبابها في باب الشرط والجزاء أقوى، ومع ذلك بدخول «ما» عليها لا تجزم» فمن باب أولى الآ تجزم «إذ» مع «ما» لدالاتها على الماضي أولاً، ولبعدها عن الشرط ثانياً:

وهذا الادعاء فنده الرضى بقوله: «وأما الاعتراض بإذاما فلا يلزم إذ ربما اختص بعض الكمات ببعض الأحكام اختياراً منهم بلا مرجح، ألا ترى أن حيث مثل «إذا» متضمن لمعنى الشرط، بل إذا أقعد فيه، ويجزم حيث مع «ما» دون «إذا» (٣١٩).

ومن النحويين الذين دافعوا عن سيبويه، واعتمدوا رأيه، واستدلوا له ابن يعيش، فقد قال:

«فإن قيل: «إذ ظرف زمان ماض، والشرط لا يكون إلا بالمستقبل فكيف تصح المجازاة بها؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن إذ هذه التي تستعمل في الجزاء مع «ما» ليست الظرفية، وإنما هي حرف غيرها، ضمت إليها «ما» فرتباً للدلالة على هذا المعنى كـ «إتما».

والثاني: أنها الظرفية إلا أنها بالتركيب غيرت ونقلت وغيرت عن معناها بلزوم «ما» إياها إلى المستقبل، وخرجت بذلك إلى حيز الحروف.

ولذلك قال سيبويه: ولا يكون الجزاء في حيث، ولا في إذ حتى يضم إلى كل واحد منهما «ما» فتصير إذ مع «ما» بمنزلة إنما وكأنا، وليست «ما» فيهما بلغو، ولكن كل واحد منهما مع «ما» بمنزلة حرف واحد» (٣٢٠).

وبعد، فلعل بعد هذه الجولة الفكرية في قضية «إذ» أكون قد وضعت فيها النقاط على الحروف، بعد أن تناثرت أجزاءها، وتطايرت عناصرها في كتب نحوية مختلفة، ومراجع تفسيرية متعددة، فكان همي أن أجمع الشتات، والمشمول، وأرجع الجزء إلى الجزء، وأضمم الركن إلى الركن حتى تتكامل الصورة، وتتضح المعالم من خلال المناقشة، وفي ضوء الأدلة، وعلى طريق الصبر الطويل الجميل، ولعلني قد فعلت، والله المستعان.





## هوامش البحث :

- (١) مقدمة الأزهية في علم الحروف .
- (٢) البرج كما في القاموس هو: الأمر البين .
- (٣) مقدمة وصف المياني / ٢ .
- (٤) مقدمة : الجنى الدانى / ١٩ .
- (٥) مقدمة المبنى / ١ .
- (٦) آل عمران / ٨ .
- (٧) المصح ٣ / ١٧٢ .
- (٨) الجنى الدانى / ١٨٦ .
- (٩) المصح ٣ / ١٧٢ ، والجنى الدانى / ١٨٦ .
- (١٠) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٩٥ ، ٩٦ .
- (١١) الجنى الدانى / ١٨٦ .
- (١٢) الجنى الدانى / ١٨٦ .
- (١٣) الجنى الدانى / ١٨٦ .
- (١٤) انظر ديوان المهذلين ١ / ٦٨ .
- (١٥) الخزانة ٣ / ١٤٩ .
- (١٦) غافر / ٧١ .
- (١٧) البقرة / ١٢٧ .
- (١٨) المعارج / ١١ .
- (١٩) الخزانة ٤ / ١٤٩ .
- (٢٠) الجنى الدانى ١٨٦ / ١٨٧ .
- (٢١) الخزانة ٣ / ١٤٨ .
- (٢٢) المعارج / ١١ .
- (٢٣) تفسير الفخر الرازى ٣٠ / ١٢٦ .
- (٢٤) البحر المحيط ٨ / ٣٣٤ .
- (٢٥) انظر الخزانة ٣ / ١٤٩ .
- (٢٦) انظر الخزانة ٣ / ١٤٨ .
- (٢٧) انظر الخزانة ٣ / ١٤٨ .

- (٢٨) المجمع ٢ / ١٧٢ .
- (٢٩) آل عمران / ١٦٤ .
- (٣٠) لم ينسب أبو حيان في البحر المحيط القراءة ٢ / ١٠٣ إلى قارىء معين .
- (٣١) انظر تفسير الكشاف ١ / ٤٧٧ ، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن / ٥٧٧ .
- (٣٢) حاشية الصبان ١ / ٢١٨ .
- (٣٣) المغنى ١ / ٨٦ .
- (٣٤) سيويه ٤ / ٢٢٩ .
- (٣٥) سيويه ٤ / ١١٦ .
- (٣٦) التوبة / ٤٠ .
- (٣٧) آل عمران / ٨ .
- (٣٨) الزلزال / ٤ .
- (٣٩) الواقعة ٨٤ ، وانظر معتك الأقران في إعجاز القرآن / ٥٧٦ .
- (٤٠) الأعراف / ٨٦ .
- (٤١) الأنفال / ٢٦ .
- (٤٢) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤ / ٢٠٧ .
- (٤٣) البقرة / ٣٠ .
- (٤٤) البقرة / ٣٤ .
- (٤٥) البقرة / ٥٠ .
- (٤٦) المغنى ١ / ٨٥ .
- (٤٧) الكلبيات لأبي البقاء ١ / ٩٤ .
- (٤٨) مريم / ١٦ ، وانظر المغنى ١ / ٨٥ .
- (٤٩) البقرة / ٢١٧ .
- (٥٠) المائدة / ٢٠ .
- (٥١) المغنى ١ / ٨٥ .
- (٥٢) يونس / ٦١ ، وانظر : معتك الأقران / ٥٧٨ .
- (٥٣) آل عمران / ٣٥ .
- (٥٤) مجمع البيان ١ / ٤٣٤ .
- (٥٥) آل عمران / ٤٢ .
- (٥٦) مجمع البيان ١ / ٤٤٠ .
- (٥٧) آل عمران / ٤٤ .
- (٥٨) مجمع البيان ١ / ٤٤١ .
- (٥٩) آل عمران / ٥٥ .

- (٦٠) آل عمران / ٥٤ .
- (٦١) مجمع البيان ١ / ٤٤٩ .
- (٦٢) آل عمران / ١٢١ .
- (٦٣) مجمع البيان ١ / ٤٩٥ .
- (٦٤) آل عمران / ١٥٣ .
- (٦٥) مجمع البيان ١ / ٥٢١ .
- (٦٦) مريم / ١٦ .
- (٦٧) مريم ٤١ ، ٤٢ ، وانظر البرهان ٤ / ٢٠٨ .
- (٦٨) مريم / ١٦ .
- (٦٩) الزحزف / ٣٩ .
- (٧٠) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٥٧٩ .
- (٧١) انظر سيويه ٤ / ٢٢٩ .
- (٧٢) سيويه ٣ / ١١٩ .
- (٧٣) سيويه ٣ / ١١٩ .
- (٧٤) غافر / ٦٩ ، ٧٠ .
- (٧٥) الجنى الدانى / ١٨٨ .
- (٧٦) الزلزلة / ٤ .
- (٧٧) انظر المغنى ١ / ٨٦ .
- (٧٨) الكهف / ٩٩ وغيرها .
- (٧٩) المغنى ١ / ٨٦ .
- (٨٠) انظر الجنى الدانى / ١٨٨ .
- (٨١) سيويه ٣ / ١١٦ .
- (٨٢) الأنفال / ٢٦ .
- (٨٣) البقرة / ٣٠ .
- (٨٤) البقرة / ١٢٤ .
- (٨٥) الأحزاب / ٣٧ .
- (٨٦) التوبة / ٤٠ ، وانظر معترك الأقران ١ / ٥٧٧ .
- (٨٧) المغنى ١ / ٨٩ .
- (٨٨) انظر نوادر أبي زيد / ٤٩٤ ، وابن الشجرى ٢ / ١٩٨ ، وجميع المواضع رقم ٧٩٥ وحاشية يس ٢ / ٣٩ ،  
وقال الأعلام بن جرادة السعدى أو عبدالله بن المعتز ، وانظر معجم الشواهد ص ٣٨١ .
- (٨٩) من شواهد ابن الشجرى ١ / ٢٠٠ .
- (٩٠) ديوان الجنساء / ٤٧ من قصيدة مطلعها:  
تسمرقنسى الدهر نهشاً وحزناً وأوجعنى الدهر قرعاً وغمماً  
النهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان كمنها في السقاساموس .

- (٩١) المغنى ١ / ٩٠ بتصريف.
- (٩٢) شرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٩٦ .
- (٩٣) الزحرف / ٣٩ .
- (٩٤) انظر: معترك الأقران ١ / ٥٧٨.
- (٩٥) معترك الأقران ١ / ٥٧٨ .
- (٩٦) معترك الأقران ١ / ٥٧٨ .
- (٩٧) التعريفات / ٣٢ .
- (٩٨) المغنى ١ / ٨١ .
- (٩٩) معترك الأقران ١ / ٥٧٨ .
- (١٠٠) تفسير الكشاف للزمخشري ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣ طبع دار الكتاب العربي بيروت .
- (١٠١) انظر شواهد الكشاف لمحب الدين افندي، وتفسير الكشاف ٤ / ٣٨٠ .
- (١٠٢) المائدة / ١١٦ .
- (١٠٣) شرح شذور الذهب وهامشه ٣٠٣ .
- (١٠٤) الأحقاف / ١١ .
- (١٠٥) الكهف ١٦ .
- (١٠٦) ديوان الفرزوق ١ / ١٨٥ .
- (١٠٧) ديوان الأعشى ١٧١ .
- (١٠٨) المغنى ١ / ٨٧ .
- (١٠٩) الخزانة ٢ / ١٣٦ .
- (١١٠) تفسير الفخر الرازي ٢٨ / ١١ .
- (١١١) إعراب القرآن العكبري ٢ / ٩٩ .
- (١١٢) إعراب القرآن العكبري ٢ / ٩٩ .
- (١١٣) ديوان المتنبي ١ / ١٤٠ .
- (١١٤) المغنى ١ / ٩١ .
- (١١٥) سيبويه ٤ / ٢٣٢ .
- (١١٦) سيبويه ٤ / ٢٣٢ .
- (١١٧) شرح الرضى على الكافية ٢ / ١١٤ .
- (١١٨) انظر المجمع ٣ / ١٧٦، وشرح الرضى ٢ / ١١٤ .
- (١١٩) انظر شرح الرضى ٢ / ١١٤ .
- (١٢٠) شرح الرضى ٢ / ١١٤ .

- (١٢١) انظر المجمع ٣ / ١٧٦ .  
 (١٢٢) المجمع ٣ / ١٧٦ .  
 (١٢٣) المجمع ٣ / ١٧٧ .  
 (١٢٤) هذا الشاهد من شواهد: الخصائص ٣ / ١٢٢، وابن يعيش ٤ / ٣٤، والخزانة ٣ / ١٨٣، والمغنى رقم ٦٩٨، ٩٢٢ والمجمع رقم ٨٢٧ والمنصليات / ٨٧٩.  
 ومعنى تعنته : الأخذ بالعنق، والاعتناق : آخر مراتب الحرب، لأن أول الحرب : الترامي بالسهم، ثم الطاعنة بالرمح، ثم المجالدة بالسيوف ثم الاعتناق، وهو أن يتخاطف الفارسان، فيتساقطا الى الأرض معاً. و : الكفاءة : جمع كمنى هو : الشجاع .  
 وروغة : حيدته عن الأقران يمناً وشمالاً لتخفظ، والسلفع : كجففر : الجرىء الواسع الصدر، ويقال للمرأة اذا كانت جريئة : سلفع بغيرها .  
 ومعنى البيت : أن هذا المستشر الدرع حزماً وقت معانته للأبطال ومراوغته للتجعان قدر له رجل هكذا، وقبض له فارس شجاع مثله فاقترلا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه : ومراده أن الشجاع لا تعصمه جراته من الهلاك. انظر الخزانة ٣ / ١٨٤، ١٨٥ .  
 (١٢٥) صدره :

• استقدر الله خيراً وارضى به •

- من شواهد سيبويه ٢ / ١٥٨، وابن الشجري ٢ / ٢٠٧، ٢٠٩، والمغنى رقم ١٣٠، ونسب في معجم الشواهد لعثمان بن ليبيد العذري .  
 (١٢٦) الحجر / ٢  
 (١٢٧) هود / ٧٧ .  
 (١٢٨) درة الغواص ٦٣، ٦٤، ٦٥ .  
 (١٢٩) سيبويه ٤ / ٢٣٢ .  
 (١٣٠) الخزانة ٣ / ١٨٣ .  
 (١٣١) لجميل بثينة، الديوان / ١٨٨ من شواهد المغنى رقم ٥٨٥ .  
 (١٣٢) سبق ذكره هامش رقم ١٢٥ .  
 (١٣٣) انظر اللسان «بين» وغيياته : شبابه  
 (١٣٤) انظر اللسان (بين) وديوان القطامي / ٧٣ .  
 وطامع : رافع، أضجم : معوج — الخثر : القدر وعمير هو القطامي نفسه .  
 (١٣٥) اللسان : «بين» .  
 (١٣٦) انظر : اللسان : «بين» .  
 (١٣٧) انظر الخزانة ٣ / ١٨٣ .  
 (١٣٨) الخزانة ٣ / ١٨٣ .  
 (١٣٩) انظر الخزانة ٣ / ١٨٣ .  
 (١٤٠) الخزانة ٣ / ١٨٣ .

- (١٤١) شرح الرضى ١١٣ / ٢  
 (١٤٢) شرح الرضى ١١٣ / ٢  
 (١٤٣) شرح الرضى ١١٣ / ٢ .  
 (١٤٤) أبو عمرو المشار إليه في النص توفي سنة ١٥٤ هـ على حين ولد المبرد سنة ٢١٠ هـ أى بعد وفاة أبي عمرو بست وخمسين سنة، وليس هو أباء عمرو الشيباني الذي توفي سنة ٢٠٥ أو ٢٠٦، ٢١٣ هـ .  
 وإذا اعتبرنا وفاة أبي عمرو الشيباني في ٢١٣ هـ تكون ولادة المبرد قبل وفاته بتلات سنوات، ففى عبارة اللسان خطأ واضح .  
 انظر في ترجمة المبرد، وأبي عمر بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني: بغية الوعاة .

- (١٤٥) اللسان : «بين» .  
 (١٤٦) اللسان : «بين» .  
 (١٤٧) اللسان : «بين» .  
 (١٤٨) درة القواص / ٦٤ .  
 (١٤٩) سورة الحجر / ٢  
 (١٥٠) سورة هود / ٧٧ .  
 (١٥١) درة القواص / ٦٥ .  
 (١٥٢) آل عمران / ٣٥ .  
 (١٥٣) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٥٤) البقرة / ٣٠ .  
 (١٥٥) تفسير الطبرى ١ / ١٥٣ .  
 (١٥٦) البغية ٢ / ٢٩٤، ٢٩٥ .  
 (١٥٧) البغية ٢ / ٢٩٤ .  
 (١٥٨) البغية ٢ / ٢٩٥ .  
 (١٥٩) البغية ٢ / ٢٩٥ .  
 (١٦٠) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٦١) تفسير الطبرى ١ / ١٥٤ .  
 (١٦٢) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٦٣) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٦٤) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٦٥) الفخر الرازى ٨ / ٢٤ .  
 (١٦٦) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٤ / ٢٥ .  
 (١٦٧) تفسير الفخر الرازى ٨ / ٢٥ .  
 (١٦٨) البقرة / ٢٨ .

- (١٦٩) من شواهد: اللسان: نشغ.  
والشعيليات، ويبدان: موضعان كما في القاموس، والناجية الذمول: الناقة السريعة، والنواشغ،  
مجارى الماء في الوادى والبيتان من شعر المرار بن سعيد.
- (١٧٠) تفسير الطبرى ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ .  
(١٧١) البقرة / ٤٩ .  
(١٧٢) البقرة / ٤٧ .  
(١٧٣) تفسير القرطبي ١ / ٣٨١ .  
(١٧٤) البقرة / ٥٠ .  
(١٧٥) البقرة / ٥١ .  
(١٧٦) البقرة / ٦٠ .  
(١٧٧) البقرة / ٣٠ .
- (١٧٨) هكذا في القرطبي، وإذ ، والصواب «إذا» كما هو في الطبرى حيث تقوم إذا مقام إذ ولو كانت  
الرواية بـ «إذ» كما هو في القرطبي لا تكسرون البيت . وانظر الطبرى ١ / ١٥٤ .  
وقد فسر الطبرى المراد بهذا البيت حينما قال: «فإذا الذي نحن فيه وماضى من عيشنا وأشار  
بقوله ذلك إلى ماتقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه لامهات لذكره يعنى: لا طعم له ولا فضل .  
ومما يجدر ذكره أن القرطبي فيه تحريف آخر حيث جعل الهاء تاء في «لامهات» والصواب:  
لامهات، فالهاء أصلية، ففى اللسان: «مهه»: وكل شيء مهه، ومهات، ومهاتة ما النساء وذكرهن  
أى كل شيء يسير حسن إلا النساء أى إلا ذكر النساء .  
وهذا الشاهد رواه اللسان: «لامهات» بالهاء.
- (١٧٩) البقرة / ٢١ .  
(١٨٠) تفسير القرطبي ١ / ٢٦٢ .  
(١٨١) الأعراف / ٦٩ .  
(١٨٢) الأعراف / ٨٦ .  
(١٨٣) الأنفال / ٢٦ .  
(١٨٤) مريم / ١٦ .  
(١٨٥) الأحزاب / ٩ .  
(١٨٦) المائدة / ١١٠ .  
(١٨٧) المائدة / ١١٢ .  
(١٨٨) الفتح / ٢٦ .  
(١٨٩) الكليات ١ / ٩٤ .  
(١٩٠) البقرة / ١٣٧ .  
(١٩١) البقرة / ١٩٥ .  
(١٩٢) يونس / ٢٧ .

- (١٩٣) الشورى / ٤٠ .
- (١٩٤) النساء ٧٩، ١٦٦ .
- (١٩٥) النساء ٦، والأحزاب ٣٩ .
- (١٩٦) النساء / ٥٥ .
- (١٩٧) مريم / ٣٨ .
- (١٩٨) انظر إعراب القرآن، القسم الثاني ٦٦٧ - ٦٧٠ .
- (١٩٩) الأعراف / ١٧٢ .
- (٢٠٠) البقرة / ٩٦ .
- (٢٠١) البقرة / ٨ .
- (٢٠٢) مريم / ٢٥ .
- (٢٠٣) المؤمنون / ٢٠ .
- (٢٠٤) القلم / ٦ .
- (٢٠٥) العلق / ١٤ .
- (٢٠٦) النور / ٢٥ .
- (٢٠٧) العلق / ١ .
- (٢٠٨) القيامة / ١٨، وانظر إعراب القرآن للزجاج ٦٦٧ / ٢ - ٦٧٢ .
- (٢٠٩) الأعراف / ٥٩، ٦٥، ٧٣، ١٨٥، هود / ٥٠، ٦١، ٨٤ .
- (٢١٠) فاطر / ٣ .
- (٢١١) آل عمران / ٦٢ .
- (٢١٢) المائدة / ٧٣ .
- (٢١٣) المائدة / ٨٨ .
- (٢١٤) المائدة / ٤، وانظر إعراب القرآن للزجاج ٦٧٣ / ٢ - ٦٧٤ .
- (٢١٥) الأعراف / ١٥٤ .
- (٢١٦) يوسف / ٤٣ .
- (٢١٧) النمل / ٧٢ .
- (٢١٨) الحج / ٢٦، وانظر إعراب القرآن للزجاج ٦٧٤ / ٢ .
- (٢١٩) الأنبياء / ٩٦ .
- (٢٢٠) الأنبياء / ٩٧ .
- (٢٢١) وانظر إعراب القرآن للكبيرى ١٣٧ / ٢ .
- (٢٢٢) الصافات / ١٠٣ .
- (٢٢٣) الانشقاق / ١ .
- (٢٢٤) انظر إعراب القرآن للزجاج ٦٧٤ / ٢ .



- (٢٢٥) الفاتحة / ٧ .  
 (٢٢٦) فاطر / ٢٢ .  
 (٢٢٧) الأنعام / ١٠٦ .  
 (٢٢٨) الأنبياء / ٩٥ .  
 (٢٢٩) الحديد / ٢٩ .  
 (٢٣٠) الأعراف / ١٢ .  
 (٢٣١) انظر إعراب القرآن / ١ / ١٣١ - ١٣٢ .  
 (٢٣٢) آل عمران / ١٥٩ .  
 (٢٣٣) النساء / ١٥٥ .  
 (٢٣٤) المائدة / ١٣ .  
 (٢٣٥) المؤمنون / ٤٠ .  
 (٢٣٦) ص / ١١ .  
 (٢٣٧) انظر إعراب القرآن / ١٣٧، ١٣٨ .  
 (٢٣٨) انظر إعراب القرآن / ١٣٤ .  
 (٢٣٩) الحديد / ٢٩ .  
 (٢٤٠) تفسير القرطبي ١٧/٣٦٧، ٣٦٨ .  
 (٢٤١) هامش إعراب القرآن - القسم الأول / ١٣٤ .  
 (٢٤٢) قائلة هو مساعدة المذلي كما في اللسان مادة : «لا» .  
 (٢٤٣) انظر شعرا الأحوص الأنصاري / ١٧٣ .  
 (٢٤٤) الكتاب لسبيويه ٢ / ٣٠٥ هارون وانظر ديوان جرير وهو من شواهد ابن الشجري ١ / ٢٢٩ ،  
 ٢ / ٢٣٠ ، والحزانة ٢ / ٩٤ ، والمجم رقم ٧٦٥ .  
 (٢٤٥) الدهر / ١ .  
 (٢٤٦) ابراهيم / ٢٥ .  
 (٢٤٧) تمامه :

• جزاءك والقروض لها جزاء •

- من شواهد : سبيويه ٣ / ٣٠٣ هارون ، والحزانة ٣ / ١٠٨ وهو للفرزدق ، ديوانه / ٩١ .  
 (٢٤٨) انظر ديوان الشماخ / ٢١٩ ، والمجان : كرائم الأبل .  
 (٢٤٩) نسب إلى رجل من الأنصاري في كتاب سبيويه ٢ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ .  
 (٢٥٠) انظر إعراب القرآن / ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .  
 (٢٥١) الأشموني ٢ / ١٣٢ .  
 (٢٥٢) الأعراف / ٨٩ .  
 (٢٥٣) آل عمران (٨٠) ، وقد كتبت في شرح الرضي : «بعد إذ أنتم مهتدون» تحريف .  
 (٢٥٤) شرح الرضي على الكافية ٢ / ١١٥ .

- (٢٥٥) وانظر الأسموني ٣٢/٢ .
- (٢٥٦) سيويه ٧٥ / ٣ .
- (٢٥٧) سيويه ٧٦ / ٣ .
- (٢٥٨) سيويه ٧٥ / ٣ .
- (٢٥٩) الخصائص ٣٥٢/١ .
- (٢٦٠) البقرة / ٢٣ .
- (٢٦١) البقرة / ٢٧٨ .
- (٢٦٢) المائة / ٥٧ .
- (٢٦٣) آل عمران / ١٣٩ .
- (٢٦٤) الفتح / ٢٧ .
- (٢٦٥) هامش الإنصاف ٦٣٤، ٦٣٣/٢ .
- (٢٦٦) انظر الإنصاف ٦٣٤ / ٢ .
- (٢٦٧) انظر الإنصاف ٦٣٥ / ٢ .
- (٢٦٨) لخص هذا النقاش بين البصريين والكوفيين من كتاب الإنصاف المسألة ٨٨ بتصرف .
- (٢٦٩) المائة ٤٨ وغيرها .
- (٢٧٠) البقرة / ٢١ وغيرها .
- (٢٧١) البقرة / ٩١ وغيرها .
- (٢٧٢) البقرة / ٢٣ وانظر شرح الرضي ٢٥٣ / ٢ .
- (٢٧٣) انظر المغني ٢٣ / ٣١ .
- (٢٧٤) انظر التعريفات لابن السيد / ٦٨ .
- (٢٧٥) الزحرف / ٥ .
- (٢٧٦) انظر ديوان الفرزدق ٣١١/٢ ، ومن شواهد المجمع رقم ١٠٤٦ .
- (٢٧٧) تفسير الطبري ٣١/٢٥ .
- (٢٧٨) البحر المحيط ٦/٨ .
- (٢٧٩) انظر الخزانة ٦٥٥/٣ .
- (٢٨٠) سيويه ١٦١ / ٣ ، ١٦٢ هارون .
- (٢٨١) من شواهد شرح شذور الذهب / ٢٥٧ .
- (٢٨٢) التوبة / ٦ .
- (٢٨٣) الخزانة ٦٥٦ / ٣ .
- (٢٨٤) من شواهد المجمع رقم ٣١٦ ، ١٠٦٦ ، وقائله : ثابت قطنة .
- (٢٨٥) انظر الخزانة ٦٥٦ / ٣ .
- (٢٨٦) انظر المغني ٢٣ / ١ .
- (٢٨٧) الخزانة ٦٥٦ / ٣ .

- (٢٨٨) الخزانة ٣ / ٦٥٦ .
- (٢٨٩) البقرة / ٢٧٨ .
- (٢٩٠) تفسير الفخر الرازي ١٨ / ١٩٤ .
- (٢٩١) تفسير القرطبي ١٦ ، ٦٢ ، ٦٣ .
- (٢٩٢) القيامة / ٣٦ .
- (٢٩٣) تفسير الطبرسي ٩ ، ٣٨ ، ٣٩ .
- (٢٩٤) الحج / ٥ .
- (٢٩٥) الأعراف / ٨٨ .
- (٢٩٦) الأعراف / ٨٦ .
- (٢٩٧) التحريم / ١٢ .
- (٢٩٨) البقرة / ٣٤ .
- (٢٩٩) النور / ٣٣ .
- (٣٠٠) الايضاح للقزويني / ٥٥ / ٥٦ .
- (٣٠١) سيبويه ٣ / ٥٧ .
- (٣٠٢) المقتضب ٢ / ٢٧ ، الخصائص ١ / ١٣١ ، وابن يعيش ٧ / ٤٦ ، والخزانة ٣ / ٦٣٦ والشاهد من فريدة للعباس بن مرادس الصحابي قالها في غزوة حنين يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءه واقدامه مع قومه في تلك الغزوة ، وبعد :
- ياخير من ركب المطى ومن مشى فوق التراب إذا تعدّ الأنفس
- (٣٠٣) من شواهد ابن الشجري ٢ / ٢٤٥ ، وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ / ٦ ، ٧ ، والخزانة ٣ / ٦٣٨ .
- وترينى مجزوم بإذما بحذف السنون ، والأصل: تريننى ، فحذفت الأولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياء ضمير المتكلم وجزاء الشرط هو البيت الثاني ، لأن جملة: «إني من قوام سواكم» في محل جزم جزاء الشرط ، والقاء للربط .
- والأزجاء : السُّوق ، يقال : أزجيت الأبل : إذا سقتها ، ورواية سيبويه : مُرَجِي ظِعِينَتِي : اسم مفعول ، «وظِعِينَتِي» نائب قاعل والظِعِينَةُ : المرأة مادامت في الهودج ، والمَطِيَّة : البعير وأصعد : أنحدر ، فيقال : صعد في الوادي : انحدر فيه .
- وأفرع : مقابل لـ «أصعد» يقال : فرعت الجبل : أي صعدته .
- وسهم ، وأشجع : قبيلتان .
- (٣٠٤) سيبويه ٣ / ٥٧ ، ٥٨ .
- (٣٠٥) يونس / ١٠٨ .
- (٣٠٦) الأنفال / ٦ .
- (٣٠٧) شرح الرضي ٢ / ٢٥٣ .
- (٣٠٨) شرح الرضي ٢ / ٢٥٣ .

- (٣٠٩) الأزهية، ٩٨، وانظر ابن الشجري ٢/٢٤٥.
- (٣١٠) مريم / ٢٦.
- (٣١١) شرح الرضى ٢/٢٥٤.
- (٣١٢) الإبدال والمعاقبة والنظائر / ٤٧ .
- (٣١٣) الإبدال والمعاقبة والنظائر / ٩٨.
- يقال : عثمت يده وعتلت تحل: إذا اتجبرت على غير استواء. انظر هامش الإبدال والمعاقبة .
- (٣١٤) الإبدال والمعاقبة / ٩٩.
- (٣١٥) شرح الرضى ٢/٢٥٤. يريد البيت السابق وهو إذا أتمت على الرسول برواية أخرى.
- (٣١٦) المقتضب ٢/٤٧.
- (٣١٧) شرح الرضى ٢/٢٥٤.
- (٣١٨) هامس الرضى ٢/٢٥٤ (زيادة في نسخة أخرى من شرح الرضى).
- (٣١٩) شرح الرضى ٢/٢٥٤ .
- (٣٢٠) انظر سيويه ٣/ ٥٦، ٥٧، وابن يعيش ٧/٤٦ والخزانة ٣/ ٦٣٦.

## المصادر والمراجع

- ١ - الأحوص الأنصاري - شعر الأحوص ، تحقيق د / إبراهيم السامرائي ، مكتبة الأندلس ببغداد .
- ٢ - الأشموني (نور الدين أبو الحسن علي بن محمد) مطبعة الحلبي - القاهرة .
- ٣ - الأنباري (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار) شرح المفضليات طبع أوفست مكتبة المثني ببغداد .
- ٤ - ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد) الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة .
- ٥ - البغدادي (عبدالقادر بن عمر) - خزنة الأدب - دار صادر بيروت
- ٦ - أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني اللغوي) الكليات - طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي بسوريا بتحقيق عدنان درويش - ومحمد المصري.
- ٧ - الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي) التعريفات - الدار التونسية للنشر
- ٨ - جميل بن معمر ديوان جميل بثينة، تحقيق الدكتور حسين نصار - مكتبة مصر بالفجالة
- ٩ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان) - الخصائص، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار دار الهدى للطباعة - بيروت .
- ١٠ - الحريري (أبو محمد القاسم بن علي) درة الفواص. طبع بالأوفست مكتبة المثني ببغداد.
- ١١ - أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي الأندلسي) - البحر المحيط . مطابع النصر الحديثة بالرياض.
- ١٢ - الختساء - شرح ديوان الختساء - دار التراث بيروت .

- ١٣ - رضی الدین (محمد بن الحسن الاستراباذی) شرح الرضی علی الکافی لابن الحاجب  
- دارالکتب العلمیة بیروت .
- ١٤ - الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل) - إعراب القرآن المنسوب إليه -  
تحقیق ابراهیم الأبیاری - طبع المؤسسة المصرية.
- ١٥ - الزجاجی (أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق) تحقیق عزالدین التتوخی - طبع  
دمشق ١٩٦٢ من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق
- ١٦ - الزركشي (بدر الدين بن محمد بن عبدالله) البرهان في علوم القرآن مطبعة الحلبي  
بالقاهرة طبعة أولى .
- ١٧ - الزمخشري (جار الله محمود بن عمر) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل  
في وجوه التأويل، دار المعرفة - بيروت، ودار الكتاب العربي - بيروت .
- ١٨ - أبوزيد (سعيد بن أوس بن ثابت الأتصاري) النوادر في اللغة طبعة أولى - دار  
الشروق، بتحقيق د / محمد عبدالقادر احمد .
- ١٩ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) الكتاب : تحقیق الأستاذ عبدالسلام  
هارون، المؤسسة المصرية.
- ٢٠ - السيوطي (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بتحقيق محمد أبي الفضل -  
مطبعة الحلبي.
- ٢١ - السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن بكر) معترك الأقران في اعجاز القرآن بتحقيق  
الأستاذ محمد علي البجاوي - دار الفكر العربي.
- ٢٢ - السيوطي (مجمع الموامع على شرح جمع الجوامع)، بتحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون و  
د / عبدالعال سالم مكرم نشر دار البحوث العلمية بالكويت .
- ٢٣ - ابن الشجري (هبة الله بن علي حمزة) الأمل الشجرية) - دار المعرفة بيروت .
- ٢٤ - الشماخ (ابن ضرار النذبياني) ديوان الشماخ، تحقیق صلاح الدين الهادي دار  
المعارف.
- ٢٥ - الضبان (محمد بن علي) - حاشية الضبان على الأشموني - مطبعة الحلبي  
بالقاهرة.

- ٢٦ — الطبرسي : (أبو علي الفضل بن الحسن) مجمع البيان في تفسير القرآن دار صعب — بيروت .
- ٢٧ — الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير) تفسير الطبري — دار المعرفة — بيروت .
- ٢٨ — العكبري : (أبو البقاء) إعراب القرآن . مطبعة الحلبي .
- ٢٩ — الفخر الرازي (أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي) التفسير الكبير طبعة ثانية — دار الكتب العلمية بطهران .
- ٣٠ — الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة) ديوان الفرزدق دار صادر — بيروت .
- ٣١ — الفيروز اباذي (محمد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي) القاموس المحيط طبعة رابعة — المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- ٣٢ — القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن دار إحياء التراث العربي — بيروت .
- ٣٣ — القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين عبدالرحمن) الايضاح — مطبعة محمد علي صبيح — القاهرة .
- ٣٤ — القطامي (ديوان القطامي) بتحقيق د / إبراهيم السامرائي، ود / أحمد مطلوب دار الثقافة — بيروت .
- ٣٥ — المالك (أحمد بن عبدالنور) رصف المبانى في شرح حروف المعاني بتحقيق الأستاذ أحمد محمد الخراط . نشر مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ٣٦ — المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) المقتضب، بتحقيق محمد عبدالحق عضية طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .
- ٣٧ — المتنبي (أحمد بن الحسين) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي — دار الكتاب العربي — بيروت .
- ٣٨ — محب الدين أفندي (شرح شواهد الكشاف) — دار المعرفة — بيروت .
- ٣٩ — المرادي : (أحمد بن قاسم) — الجنى اللداني، بتحقيق د / فخر الدين قباوة والاساذ محمد نديم فاضل — المكتبة العربية بحلب .

- ٤٠ — ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) المؤسسة المصرية
- ٤١ — هارون (الاستاذ عبدالسلام محمد هارون) — معجم شواهد العربية طبعة اولى نشر الخانجي.
- ٤٢ — الهذليون (ديوان الهذليين) — الدار القومية — بمصر.
- ٤٣ — المروى (علي بن محمد) تحقيق الأستاذ عبدالمعين الملوحي مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٤٤ — ابن هشام (جمال الدين بن هشام الأنصاري) شرح شذور الذهب تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين — مطبعة مصطفى محمد.
- ٤٥ — ابن هشام (مغنى اللبيب عن كتب الأعراب تحقيق د / مازن المبارك والأستاذ محمد علي حد الله — دار الفكر — بيروت.
- ٤٦ — يس (ابن زين الدين العليمي) حاشية يس — طبع الحلبي.
- ٤٧ — ابن يعيش (موفق الدين بن علي) شرح المفصل — عالم الكتب — بيروت









تطلب جميع منشوراتنا من .

## الشركة المتحدة للتوزيع

تبروت - شارع شوربة - بناية صمدي وصالحه  
هاتف ٣١٩.٢٩ - ٢٩٥٥.١ - ص ب ٧٤٦ - بنينا - سمران



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)